

صَلاح عزام

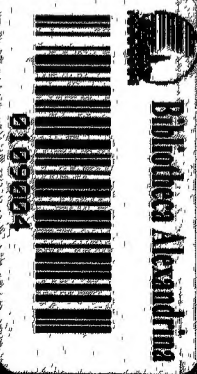
عشرة
من أصفياء
النبي

أبو بكر الصديق
عمر بن الخطاب
عمر بن عبد المطلب
الاعمام الحسن
الاعمام الحسين
عمار بن ياسر
بلال بن رباح
أبو ذر الغفاري
عبد الله بن مسعود
فارس

ل



نفاففة وعلوم إنسانفة لكل الشعب





مطبوعات الشعب

ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للمصحافة والنشأة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

أحمد شوقي القيسي

المدير العام

جمال الدين زكي

سنظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام
الناض .. تنبوا مكانها التاريخية والعصرية ..
في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة: ٩٢ شارع قصر العيني - بالقاهرة

ت ٣٥٥١٨١ - ٣٥٥١٨٨ / ٣٥٤٣٨٠ - ٣٥٥٧٧٣

تلكس دولي ٢٠٥٧٤١

ص.ب ١٤ رقم بريدي ١١٥١٦



١٠ من أصفياء النبي

صالح عزائم

قال الامام على كرم الله وجهه عن النبی
صلی الله علیه وسلم :

لم یکن نبی الا أعطی سیفه نجباء ووزراء
ورفقاء وأنی أعطیت أربعة عشر • حمزة •
وجعفر • وأبو بکر • وعمر • وعلى •
والحسن • والحسین • وابن مسعود •
وسلمان • وعمار • وخدیجة • وأبو ذر •
والمقداد • وبلال •

مقدمة

و .. هذا كتاب آخر لتلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم
نجوم الهدى ..

وقبل البدء لابد من كلمة عاجلة عن منهجنا في الكتابة عن
اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .. نعيدها .. فنحن
نرفض ونحترم المنهجين المسيطرين على التأليف عنهما سواء
المطولات أو اختيار بعض جوانب العظمة أو العبقريات .. اذ
آثرنا العرض السريع لحياة الصحابي وفي ايجاز .. لعلمنا
بان القارئ اليوم عجول .. متائرا بذلك من أجهزة الاعلام
الحديثة .. المقروءة والمسموعة والمرئية .. وجعلنا دخول
الشخصية في الاسلام هو مبدأ الحياة لها .. وقد لا نتعرض
لحياته من قبل .. او نتعرض بالقدر القليل .. لانهم من غير
الاسلام ما عرفوا .. ولا كانوا ..

وبعد هذا .. فلا بد من كلمة عن الحديث الذي صدرنا به
كتابنا .. وقد رجعت الى الثقافة من اهل الحديث واساتذته
 فلم ينكروه وانما نسبوه الى اهل التصوف مع اجازتهم
مضمونه فهو لاء الصحابة الاجلاء الذين ذكرهم الحديث
الشريف اهل سبق وفضل ومنهم من بشر بالجنة ومنهم احب
خلق الله اليه ..

وقد تركت منهم أربعة رضوان الله عليهم (على - حذيفة
وجعفر والمقداد) لأنهم موضع دراسة مستقلة في الطريق الى
أيدي القراء باذن الله ..

وجعلت ترتيب العشرة الأصفياء وفقا لما وردت أسماؤهم
في الحديث الشريف .

و .. على الله قصد السبيل .

صلاح عزام

مصر الجديدة - المحرم ١٣٩٥

يناير ١٩٧٥

يقول أبو ذر الغفارى فى خطبة
تهتز لها الشام :

((يا كائز المال الا تعلم انه
اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا
من ثلاث : من صدقة جارية ،
او علم ينتفع به ، او ولد صالح
يدعو له)) .

أبو ذر
الغفارى

عاش أبو ذر الغفارى يبحث عن الاسلام والهدى
ومات فى منفاه وحيدا دفاعا عن الاسلام والحق ، وبين
حياته وموته كانت قصة طويلة من العلم والعمل والنضال
وفى ثورة لا تهذا وصلابة لا تلين .

جاء الى مكة من غفار بعد ان علم من الاعراب الرجل ان نبيا قد
ظهر بمكة يدعو الى التوحيد والمساواة . وظل يبحث عن النبى
يومين طويلا حتى لقيه . صحبه اليه على بن أبى طالب واخذ
يسال الرسول عن الاسلام ثم بايعه عليه . ومن يومها لم يخف
اسلامه أبدا . . فقد خرج من عند النبى ليصرح بالشهادتين بين
أعراب مكة حول الكعبة فأوسعوه ضربا وكادوا يقتلونه لولا خشيتهم
على تجارتهم النى تمر بغفار فى غدوها ورواحها . وخاف عليه النبى
فأرسله الى غفار قبيلىته يدعوها الى الاسلام ونجح فى مهمته حتى
أعلنت غفار اسلامها وبايعت النبى فى طريق هجرته . وقال عليه
الصلاة والسلام لأبى ذر وهو يدعوه (غفار غفر لها) .

ويتحدث التاريخ طويلاً بعد الهجرة عن «أبي ذر» . أننا نراه مع النبي في معظم الغزوات .. ونسمع عن أحاديث يرويها .. ونراه في مجلس النبي دائماً لا يفارقه يتعلم ويسأل ويأخذ عنه .. ونرى النبي صلى الله عليه وسلم - يحزنو عليه ويقربوه ويخصه ويوليه على المدينة عام ٦ هـ ويدخل مع النبي مكة .. ويحضر وفاته ويستمتع مع نفر قليل الى وصيته .

واحس أبو ذر بالفراغ الهائل بعد النبي .. وأن المدينة لم تعد له مكاناً من بعده .. خاصة وقد رأى الخلافة يتولاها أبو بكر فذهب الى القتال في صفوف المسلمين حتى استقر به المقام بالشام يعلم الناس أمور دينهم - أيام السلم - ويشترك مع الجيش الاسلامي في الجهاد .. ورفض كل العروض التي وجهت اليه ليتولى إحدى الامارات كبعض الصحابة .. وهذا .. وایمانا بدوره .

وقتل عمر ..

وعاد أبو ذر الى يشرب ، فقد كان يؤمن أن الوقت قد حان لولاية على .. وكان يؤمن في قرارة اعماقه أن هناك امورا ستحدث من بعد عمر .. وكان لابد أن يقف مدافعاً عن دينه ، الذي تعلمه من المدرسة المحمدية ، أمام أى قوى تقف محاولة استغلال الدين أو توجيه المناصب للمنافع الذاتية وتكديس الثروات .

وخاب امل أبي ذر وتولى عثمان الخلافة وبدأت معه جحافل قريش تخرج من عزلتها التي حكم بها عليها عمر خشية الفتنة وخشية تكديس الثروات .

وازاء ذلك وقف أبو ذر يعان دعوته .. لم يدع الى سفك الدماء أو محاربة المسلمين بالسيف وانما دعا الى الزهد ، والى الحق ، والى اعلاء كلمة الله واعطاء كل ذي حق حقه ، والى أن يكون المسأل للمسلمين ، وان تقال كلمة الحق لكل حاكم ووال . ورفع شعاره

آية من كتاب الله (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فيبشرهم بعذاب اليم) *

وبدا من المسجد الكبير في المدينة يعلن سخطه على الولاة الذين
تكالبوا على بيت المال .. أقارب عثمان - رضي الله عنه - وخاصة ،
فمروان بن الحكم اخذ خمس خراج افريقيا ، والحارث ابن أبي
العاص ٣٠٠ ألف درهم ، وزيد بن حارثة ١٠٠ ألف درهم .

وبدأت كلمات أبي ذر تصل مجلس عثمان الذي ضاق بهجوم
أبي ذر عليه وعلى تصرفاته وعلى ولائه ، فاستدعاه ذات يوم الى
مجلسه ودارت بينهما مناقشة حامية . لیساله عثمان من الذي بلغه
عنه فيقول أبو ذر وما بلغك ؟ ..

فيقول : بلغني أنك تحرض الناس على ..

فيقول : وكيف ذلك ؟

فيقول عثمان انك لا تقرأ في المسجد الا (والذين يكتزون الذهب
والفضة ..)

فيصرخ أبو ذر : (اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله . وعيب
من ترك أمر الله ، والله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب الي وخير
لي من أن أسخط برضائه) *

وتنتهي المناقشات الحادة مع الايام بإبعاد أبو ذر عن مدينة
الرسول الى التمام ، حيث ولاية معاوية .. وتنتقل المعركة أشد
ضراوة من المدينة الى دمشق .. ويختار الداهية معاوية ماذا يفعل
مع هذا الزاهد الشائر .. صاحب رسول الله . فيحاول أن يقربه
فلا يرضى ويدعوه الى مائدته ذات يوم فيرى عليها من المأكولات
ما لا يعرفه الا الرومان فيمسك يده .

ويقول لمعاوية من اين لك هذا .. يا معاوية .. ان كان من بيت
أبيك فهو السفسف وان كان من بيت مال المسلمين فهي السرقة ،
ويرفض تناول الطعام .

ويشاهد أبو ذر ما وصل إليه حال بعض المسلمين من الثراء
الفاحش والكثرة الغالبة على ما هي عليه من بؤس ، فيبدأ في إرساء
قواعد العلم الاسلامي . . ولكن معاوية يرى جموع الناس تحتشد
حول أبي ذر فيرسله في الثروات لعله يرفض . . فيكشفه للناس .
ويذهب أبو ذر ويعود سالما على غير ما ظنه معاوية وصحبه . . وتبدأ
مرة أخرى لقاءاته مع جماهير المسلمين يبشرهم بحقيقة امر الدين
وتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام .

ويخطب ذات يوم خطبة تهتز لها الشام كلها يقول فيها : (اني
لارى حقاً يظني وباطلاً يحيا ، وصادقاً مكذباً وائرة بغير تقى وصالحاً
مستاثراً عليه) . . (يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء . . ويبشر
الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم) . .

ثم يقول يا كائر المال الا تعلم انه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا
من ثلاث : من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح
يدعو له . وان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ان ربي
هو من على ان يجعل بطحاء مكة ذهباً فقلت يا رب اجوع يوماً واشبع
يوماً ، فاما اليوم الذي اجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك . وأما
اليوم الذي اشبع فيه لأحمدك وأثنى عليك .

وهكذا استمر الصراع في الشام بين معاوية وأبي ذر . .

وهكذا استمرت خطب أبي ذر ضد الانبياء والأغنياء ، والكنن
حتى تصل المعركة مداها يوم جمع مجلس واحد بين أبي ذر ومعاوية
فيسمى معاوية مال بيت المسلمين . مال الله . أي يكون للصدقات
فقط وباشراف الوالي .

فقال أبو ذر (يا معاوية . . ما يدعوك الى ان تسمى مال
المسلمين مال الله) . .

فقال معاوية (يرحمك الله يا أبا ذر السنن عيال الله والمال مثل الله) .

فقال أبو ذر : (فلا تقله . . ولكن قل مال المسلمين ، فان أموال النقي من حقوق المسلمين وليس لك أن تحتزن منها شيئا . انما أنت بمهلك قد خالفت الرسول وأبا بكر وعمر وكنزته لك ولبنى أمية . لقد أغنيت الغنى يا معاوية وأفقرت الفقير) .

فيدير معاوية دفة الحديث في دهاء . . قائلا : (ان الشكاة منك يا أبا ذر قد كثرت وإن الأغنياء يشكون منك تغليب الفقراء عليهم) . فيقول أبو ذر : (انى أنهاهم عن الكنز وانى أبشرهم بعذاب الله ما لم يعوا قوله والذين يكتزون الذهب والفضة . . الخ) .

فيرد عليه معاوية ان هذه الآية لم تنزل في المسلمين .

فيصرخ فيه أبو ذر : (بل نزلت فينا وفيهم) ثم ينتهي الحديث بتفخيز من معاوية وإصرار من أبي ذر على دعواته بقوله (والله لا نستمر على دعوة الناس الى الزهد وعلى تحذيرهم من الكنز ولا أبشرون الكافرين بعذاب النار . والله لا أنتهى حتى توزع الأموال على المسلمين كافة) .

ويستمر أبو ذر في دعواته حتى يضيق به الداهية ابن أبي سفيان فيكتب الى عثمان شاكيا فيأتيه من المدينة امر بأن يحمل اليها أبو ذر بلا تمهل .

ويصل الخبر أهل الشام ويتجمعون حول أبي ذر وتكاد الفتنة أن تقع لولا أن يمنعه أبو ذر بنفسه ، فهو يطلب من أهل الشام أن يتمسكوا بدينهم وأن يعرفوه حق معرفته وأنه ذاهب الى المدينة ليرى أمر الله ثم يوصى أهل الشام وصية طويلة يختتمها بقوله : ايها الناس اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله اذا عصى في الأرض ولا ترضوا أئمتكم بسخط الله وان أحدثوا ما لا تعرفون فجانبواهم

وَأَزْرَوْا عَلَيْهِمْ وَإِنْ عَذَبْتُمْ وَحَرَمْتُمْ وَسَيَّرْتُمْ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ
الْعَلِىُّ وَالْكَبِيرُ .

وفى المدينة كان لقاء عاصف آخر مع عثمان بن عفان ، فقد أراد
الخليفة أن يستجوبه عن شكاة أهل الشام ضده فنفى أبو ذر
اتهمهم .

وقال (ليس أهل الشام هم الذين يشكونى ولكن هناك فئة
قليلة كنزت المال واحتكزت الأرزاق ومنعتها عن أصحابها ومستحقها
فساءها أن أقول للناس ما كان لكم من حق فخلوه ، وما كان باطلا
فذرروه ، فهم يصرون يا عثمان على أكل الباطل وجقوق الناس) .

ثم .. يطلب منه عثمان أن يعتزل الناس ، فيتركه أبو ذر غاضبا
ولا يطيع أمره .

ولم تطل الحياة بأبى ذر .. فقد تعرض لمحن أشد وأقوى
وتكالت عليه حاشية عثمان توقع بينهما ، وتدفع السك الى نفس
أمير المؤمنين ويقع بين الصحابين ما ليس منه بد .. وتستخدم
الخلافات الفكرية بين أبى ذر وحاشية عثمان وفى مجلسه وينتهى
الأمر ذات يوم بأن يعسدر الخليفة أمره .. بنفى هذا النائر الى مكان
حيث لا يلقي أحدا ولا يلتقى بانسان والى أن يقضى الله أمره .

وتدخل بعض الصحابة ليلغوا أمر النفى أو يعدلوه بلا طائل
وكان أن حط الرجال بأبى ذر فى بقعة يقال لها الريدة .. اسنقر فيها
ولم يغادرها غير مرة واحدة بحثا وراء حقه فى بيت المال ..

وشاهد خلال اقامته صراعا عنيفا مع الموت والحياة .. ورأى
الموت يختطف ابنته وابنه ولا يملك لهما من دون الله شيئا .. وبقيت
الى جانبه زوجته تواسيه وتؤاسه .

ومرت الأيام بطيئة ثقيلة .. ووقع أبو ذر تحت مطارق الالم فى
هيبوبة الموت .. وكان يفيق ليرى دموع زوجته تبلل وجنتيه .

وذاث مرة أخيرة . . طلب منها أن تكف عن البكاء ، فقالت كيف لا أبكيك ونحن غريبان وليس عندي ما أكفك فيه .

فقال لها : (لا تبكى فانى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ذات يوم وأنا عنده في نفر من أصحابه ليموتن رجل منكم بغلاة من الأرض تنسده عصاة من المؤمنين . وكل من كان معي في هذا المجلس مات في جماعة أو قسرية . فراقبى الطريق فاستطلع علينا عصاة من المؤمنين فانى والله ما كذبت ولا كذبت) .

واغمض عينيه . . والى الإبد عام ٣٢ هـ لتطلع قافلة من الطريق أقيها عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله الذي ما أن رأى أبا ذر حتى أكب عليه باكيا ، ثم نهض يغطيه .

ويقول « اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله عبدك في العابدين وجهاد فيك المشركين ولم يغير ولم يبدل ولكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفى ونفى .

وصدق رسول الله وهو يقول : يا أبا ذر انك تعيش وحداك وتموت وحداك وتبعث وحداك .

ان بعض المسلمين جاعوا
يستأذنون رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أن يزوج احدي
بناتهم الى رجل عربى سموه فقال
لهم صلى الله عليه وسلم : ((أين
أنتم من رجل من أهل الجنة .
أين أنتم من بلال)) .
والأحاديث كثيرة يرويهما
التاريخ عن مكانة بلال بن رباح من
رسول الله .

بلال بن رباح

كان أول ما سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في
مجالس القوم وهو يخدمهم ، وبالذات من أمية بن خلف
أحد زعماء بنى جمح حيث كان بلال رضى الله عنه واحدا
من عبيدهم . .

كان يسمع أمية وزواره يتحدثون عن أخبار محمد بن عبد الله .
ويسخرون من دعوة الاسلام التي يرفع لواءها داعيا الى الله في
وحدانية مطلقة ومساواة كاملة . ثم يعجب من هؤلاء القوم كيف
يسخرون ولا يؤمنون .

وكان قلبه رضى الله عنه يهتز لكل عبارة يسخر منها زعماء
الشرك والكفر ولكنه لم يعرف الطريق الى رسول الله فقد كانت
حياته الطويلة في مكة عبدا يرمى الغنم ، ويخدم أسفاده ويحول ذلك
بينه وبين منطلق الحياة .

ومع هذا . . فان بلالا احس بحديث خصوم محمد يسرى في
اعماقه فيفتح امامه مجالات جديدة . انها دعوة تتفق مع كل الذى
كان يحس به فى خلوانه . وفى عرض الصحراء ، ووحشة الحياة .
ولم يتردد بلال . .

ولم ترجفه أحاديث زعماء القبائل وهم يعددون الوسائل التى
سيحاربون بها محمدا وصحبه .

بل انطلق يبحث عن رسول الله ذات يوم لا يذكره التاريخ لنا
بالتحديد . وانما يؤكّد أسبقية اسلام هذا العبد الحبشى الذى هن
الدينسا بعد ذلك . وأنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن
اسلامه وأنه بذلك كان سابع المسلمين .

وفوجيء زعماء قريش باسلام بلال ، فان هذا الأمر لم يكن
مما يتوقعونه .

ولم يبال بلال بموقف زعماء الكفار من خبر اسلامه ، ولا تهديد
أميه بالذات له ، وهو الذى يقسم بأن الشمس لن تغرب على اسلام
بلال أبدا .

وتبدأ الاستعدادات الضخمة لتعذيب هذا العبد الحبشى . .
كأسطورة تهز الدنيا . وترسل الرعب الى كل من يفكر فى أن يلحق
بدين محمد . .

ولكن . . الايمان بالله وحب رسوله كانا يملآن كل حياة بلال
وتفكيره . . لقد احس بلال النور المحمدى يضيء امامه الطريق
فينسى ادوات التعذيب التى أعدت له . . ويصم أذنيه عن دعوات
أمية بن خلف وأصحابه ووعودهم فى أن يخرج عن دين محمد . . بل
فى أن يسب محمدا ورب محمد .

ورفض بلال فى إباء واصرار كل هذه الدعوات . . ورفض ايضا
وهودهم له بالحرية والتحرر . . وكان على لسانه نداء واحد تهتز له
الدنيا ، وتهتز له قلوب كل من يسمعوناه : « أحسد . . أحد . . »

وجربوا معه كل أنواع التعذيب التى يمكن أن يسمع عنها انسان
هبر التاريخ .. ووضعوه عريانا فوق الجمر .. وكانوا يخرجون به
فى الظهيرة الى جحيم الصحراء ويطرخونه عريانا على حصاها المتهب
ويربطون حجرا كبيرا كالنار فوق بطنه .

وكررنا هذه المأساة اياما لعله يخرج عن دينه ويسب محمدا
وآل محمد ولكن بلالا رضى الله عنه كان راسخ العقيدة .. كان
نموذجا اسلاميا لكل مسلم من بعده .. فلا يتزحزح ولا يضعف وانما
يصرخ فى وجه الطغاة والدنيا كلها : « أحد .. أحد .. » .

ومرة أخرى يعودون الى تعذيبه بصورة أخرى . لقد ربطوا عنقه
فى حبل وامروا الصبية بأن يطوفوا به مكة فى كل أجزائها ،
وصمد بلال .

ومرة ثالثة ، اخلدوا يضربونه بالرماح حتى لا يترك فى جسده
موضع واحد لم ينزف الدم . ويلقون الماء المغلى على هذه الجروح
ليماودوا الكرة فى التعذيب .

ومرات أخرى . وصورا متعددة من العذاب ، حتى يضيق
بالتعذيب معذوبه .

ويصرخ فيه امية بن خلف من الغيظ ..

« أى شؤم رمانا بك يا عبد السوء . واللات والعزى لأجعلنك
للعبيد والسادة مثلا » .

فلا يجيبه بلال الا ب « أحد .. أحد .. » .

وتهتز كل جنبات مكة لهذا الصمود ، وذاك العذاب .. ويجرى
أبو بكر باحثا عن بلال فى محاولة لانقصاده من هذا السلاء ومهما كان
الثمن .. ويجده .. والسياط تلهب جسده الدامى فيرتدى عليه
يضمه الى صدره ويقول لجلاديه : اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟

ويصرخ في وجه كبير الطفلة أمية بن خلف « خذ أكثر من ثمنه
واتركه حرا .. » .

ويقبل أمية هذا العرض ليتخلص من عناد ابن رباح ويحمل
أبو بكر بلالا وأميه من خلفه يستهزئ من هذا الشراء قائلا لأبي بكر :
« لو أبيت أن تشتريه إلا بأوقية واحدة لبعثتك بها » فيرد عليه
الصديق في صدق وإصرار : « والله لو أبيتكم أنتم إلا مائة أوقية
لدفعتها » .

ويذهب الصديق بلال إلى رسول الله ليؤلف إليه أبو بكر خبث
خلاص بلال . وأنه قد اعتقه أيضا في سبيل الله .

ويصبح العبد حرا .. عبد الله وحده .. غاملا من أجل تحرر
النفوس وخلصها الله الواحد القهار .

ويعمل خازنا لأبي بكر في أول الأمر ثم خازنا لرسول الله بعد ،
حتى يصير مؤذن الرسول .. وأول مؤذن في الإسلام عندما تقررو
الأذان للصلاة .

ومنذ ذلك اليوم وبلال لا يترك رسول الله . يتعلم منه ، ويعلم
الناس ويدعوهم إلى دين الله .

ومرة واحدة افترف بلال عن النبي وصاحبه يوم أذن الرسول
لبعض أصحابه أن يسبقوه بالهجرة إلى المدينة ، وكان هو مع
المهاجرين الأول وفي انتظار النبي صلى الله عليه وسلم .

وعندما وصل النبي إلى المدينة كان بلال مع من استقبله . ثم
كان مع الرسول يعمل في بناء المسجد . ثم كان بعد ذلك أول من
يعلمه النبي الأذان عندما قرره . ويطلب منه وهو الذي من قبل
رفع نداء « أحد أحد .. » من وراء العذاب والتعذيب أن يرفع من
فوق المثانة الدعوة إلى الصلاة ومظهر التوحيد والمساواة ..
الله أكبر . الله أكبر .

وأصبح بلال مؤذن الرسول منذ ذلك الحين . يصحبه في كل غزواته وكل روحاته . وشهد معه المعارك كلها ، ويوم بدر . ويومها يحق الله الحق ، ويأذن بلحظة المسدل والقصاص فيتقابل بلال مع أمية بن خلف فيصرخ في فرح : « رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا .. » .

ويسمعه بعض نفر من المسلمين فيهبون لمساعدته ونصرته وينهشون أمية بالسيف حتى قتل ويفف بلال على جثته ويرفع عينيه الى السماء صارخا من القلب : « أحد .. أحد .. » نفس ندائه وهو يعذبه نفس ندائه وهو يعذبه مستغلا .

ثم يتركه ليالحق بالرسول العظيم صلوات الله عليه ، يلزمه ويسمع منه وينقل عنه .

ويسأل عنه الرسول كلما غاب بين اوقات الاذان ، ويذكره بالخير للناس من حوله ، حتى أن بعض المسلمين جاءوه يستأذنونهم في أن يزوج احدي بناتهم الى رجل عربي سموه فقال لهم صلى الله عليه وسلم : « أين أنتم من رجل من أهل الجنة . أين أنتم من بلال » .

فانصرف القوم ولم يتحدثوا بشيء حتى كان الغد اتوا الرسول فكررنا مطلبهم فكان رد الرسول أين أنتم من بلال .. فانصرفوا ايضا حتى كان اليوم الثالث جاءوا الى النبي مكررين فاجابهم ايضا : أين أنتم من بلال ..

والاحاديث كثيرة برويها التاريخ عن مكانة بلال من رسول الله . ومرت الايام .

وفتح الله للمسلمين مكة ،

وعاد المهاجرون .

وارتفعت راية الاسلام .

ودخل النبي الكعبة . ولم يكن في صحبته غير ثلاثة من المسلمين : عثمان بن طلحة صاحب مفاتيح الكعبة ، وأسامة بن زيد ، وبلال الذي أمره النبي أن يصعد فوق الكعبة .

ويرتفع صوته بالأذان .

ومرة أخرى تهتز مكة كلها لصوت بلال . . ولكن في هذه المرة بإيمان ونصر الله ، لا من خلال العذاب والتعذيب ، يرفع النداء الله أكبر .

وينتقل الرسول وهو راض عن بلال .

ويرفض بعدها مؤذن الرسول أن يؤدي مهمته وهي الأذان . فهو لا يطيق أن يؤذن ولا يرى رسول الله يؤم المسلمين . وإنما طلب تغيير موقعه في ميدان الدعوة المحمدية . ورفض كل العروض في أن يبقى مع أبي بكر يعاونه في شئون الحكم فلم يدخل إلى الإسلام كي يحصل على مغنم . ولم يكن الإسلام قد دخل بعد قلوب الدين يعيشون من حول البلاد العربية ، ولذا فقد اصر على أن يكون حيث نصحه الرسول مع المجاهدين « فان أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله » .

واشترك في حروب الردة .

ثم بدا يستعد للذهاب إلى الشام ليشترك المجاهدين في سبيل الله .

ولكنه تأخر لوفاة الخليفة الأول .

ولما استقرت الأمور لعمر بن الخطاب ذهب إليه ليلقاه حتى يتدبر معه الأمر . وتشاء الظروف أن يجتمع في رغبة لقاء أمير المؤمنين عمر مع بلال أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو بن الحارث ورهط من كبار العرب . . فيأذن عمر لبلال وصهيب أولا . . فيغضب أبو سفيان ويقول لأصحابه : لم أر كاليوم قط . يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على باب . . فيرد عليه سهيل وقد كان حكيما :

« ان كنتم غضبى فاغضبوا على انفسكم ، دعى القوم — الى الاسلام —
ودعيتهم . فاسرعوا وابطائهم .. فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة
وتاركنتم .. » .

ويذهب بلال الى الشام ويفاتل مع المجاهدين . وينشر تعالىم
رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا يلتقى مع الكثيرين من
الصحابه الاول الا يوم زار عمر الشام وألح عليه هو وكثير من
المسلمين ان يسمعوا صوت مؤذن الرسول .

ومرة اخيره .. تهتز قلوب المسلمين وارجاء دمشق بصوت بلال
وهو يرتفع بالأذان ، ودموع الوفاء لبلال لحينه وصوته يهتز عند
أشهد أن محمدا رسول الله .

ثم تمضى الأيام مع المجاهد .. رجل الجنة .. بلال بن رباح إلى
دمشق حيث أقام هناك معلما الناس أمور دينهم الى أن أتى أمر الله
عام ٢٠ هـ فمات بها وورى بها الثرى . وآخر عباراته تهز الدنيا .

(اليوم الفى الأحيه .. الفى محمدا وصحبه) ..

يكتب أبو الدرداء من الشام
الى سلمان الفارسي - وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم -
قد آخى بينهما - فيقول : (سلام
عليك . اما بعد . فان الله قد
رزقني بعبدك مالا ولدا ونزلت
الارض المقدسة) .

فبرد عليه سلمان : (سلام
عليك - اما بعد - فانك كتبت
ان الله رزقك مالا ولدا فاعلم ان
الخير ليس بكثرة المال والولد
ولكن الخير ان يكثر حلمك وان
ينفعك علمك .

سلمان الفارسي

و . . سلمان الفارسي . . واحد من اصدق الدعاة ،
واخلص اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

و . . نموذج وحده في اظهار آية الله تبارك وتعالى فيمن يخلصون
وجهم اليه سبحانه فيجعلهم ائمة ، ويبدل خوفهم امنا . . و . .
صورة من الحياة الواقعية لمن يشرك بيته واهله مهاجرا الى الله
فيعود الى بلده مرة اخرى ظافرا . . منتصرا . قائدا .

فسلمان عاش في بلاد فارس . . لاهوتين من سيطرة القوم . .
وشب محبا للعلم والمعرفة حتى انهم اعدوه ليكون رجل دين . .
ومن خلال العلم الذي قراه تفتح قلبه لنور من المعرفة الالهية فدخل

المسيحية .. وعرف من بعض الرهبان أن هذه الحياة خلقها الله وينظمها ويسيرها وفقا لارادته وناموس منزل .. وأن هنالك نبي سيأتى فى أرض العرب وله علامات مميزة .. فى خلقه وبدنه ..

هكذا تؤكد كتب الرهبان .. وهكذا تأكد لنفس سلمان مما قرأ .. فترك الجاه والمجد .. وواصل فراره من أرض فارس أولا .. ومن الشام ثانيا .. رغم كثرة بحث الأهل .. واتجه مع قافلة عربية الى المدينة .. ولكن أصحاب القافلة غدروا به .. واعتبروه عبدا . وباعوه فى المدينة ليهودى من بنى قريظة ..

ويقول سلمان عن رحلته الكثير حتى توقف عند المدينة المنورة بنخيلها لأنها صورة للبلد التى قرأ فيها الكتب أن بها مقام صاحب الدعوة السماوية التى ستحطم الظلم ، وتهدم الطغيان .. وترفع رايات الوحدة والمساواة .. فنسى غدر أهل القافلة .. وذل العبودية .. انتظارا للقادم . المنقذ للبشرية .

وما هى الا مدة قصيرة ويسمع سلمان لخبر الاسلام فتفرح نفسه .. ويذهب الى كل مكان بقدر ما يحوطه من اغلال العبودية متعرفا على الدين الجديد .. وينتظر مع المسلمين مقدم النبي ليتأكد من علامات نبوته التى قرأ عنها وسمع بها ..

ويصل رسول الله الى المدينة .. ويلقاه سلمان من وراء أسياده .. وتتأكد له كل معالم نبوته فيعلن اسلامه ويقص على النبي رحلته الطويلة من فارس حتى يلقاه ويتأثر الرسول العظيم له .. ويحنو عليه .. ويقربه منه ..

ومع هذا فقد كانت هناك عقبة تحول بين سلمان والمسلمين .. فهو امام العرف يومذاك عبدا .. مملوكا ليهودى من بنى قريظة .. وبينهم وبين بعض الأنصهار عهود ومواثيق .. وصاحبه لا يرضى بالتنازل عنه بسهولة كما يعرفه من ثقافته ودخوله الى الاسلام بكل الإيمان .

وهو أيضا . . مسلم له على المسلمين حق الأخوة . . وفوق ذلك فرسول الله يحبه . . وله آراء وفهم لمبادئ الدين . . وسرعة حافظة لايات الله .

ومن هنا ظهرت مشكلة ومأساة سلمان . فيطلب النبي من أصحابه أن يخلصوا سلمان من رق العبودية ليخلص لهم . . فتبادا مفاوضات مع (سيده) وتطول . . فان يهودى بنى قريظة لم يشأ التخلي عنه بسهولة . . ولكنهم يتغلبون عليه بعد جهد وزمن . . فيحرم سلمان من شهود بدر الكبرى وأحد والاشتراك فيهما . . ولكنه بعد ذلك لم يترك موقعة الا اشتراك فيها . . ولم يترك مكانا فيه النبي الا وهو الى جانبه . . حتى يقول عنه صلوات الله وسلامه عليه يوما . . (سلمان منا آل البيت) .

وبمضى الزمن . . وتأتى غزوة الخندق . . وهنا تظهر عبقرية سلمان ويظهر للمسلمين حكمة الله الغالبة في المدة التي قضائها سلمان مع اليهود . . وهم الذين يقفون في الجانب الآخر مع الألوف القادمة من العرب المشركين . . ليشير على المسلمين بحفر الخندق . . فان هذه طبيعة المدينة . . التي تقف أمام فن اليهود الحربي الذي تعرف عليه اثناء اقامته معهم . . وهو الأمر الذي برع فيه الفرس خلال حروبهم . . ويأمر النبي الكريم بالأخذ باقتراح سلمان ويبدعون في العمل الحربي الجديد . . الذي يكشف الله فيه لرسوله عن مستقبل انتصارات المسلمين فيبشرهم بفتح فارس وبلاد الروم . . فيصرخون فرحا . . وأملا . .

و . . تمر الايام . .

وسلمان الفارسي . . يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم ويشهد معه الغزوات . . ولقاء الوفود . . وتعلم الكثير من النبي . . وعرف ما كان يريد أن يلم به حتى يصبح موضع اكبار واجلال الصحابة الاول . . يهشون للقائه . . ويتقربون منه . . بما فيهم ابو بكر وعمر . . رضى الله عنهما . .

وينتقل رسول الله وهو راض عن سلمان .. ووصيته للمسلمين
أن سلمان منا آل البيت في قلب كل واحد منهم ..

ويعمل مع أبي بكر وعمر .. مجاهدا ، ومناضلا مشتركاً في
الفتوحات والدعوة إلى الله .. ويعاصر عثمان أيضاً ..

و .. مرة أخرى .. يعود سلمان إلى فارس . وهذه المرة
أميراً على المدائن ..

آية من الحق تبارك وتعالى لكل المؤمنين الصادقين المخلصين
وجوههم له وحده ..

فهاهي فارس تستقبل ابنها الذي خرج منها بأحشا عن نور
الاسلام .. ويلقى في سبيل ذلك كل المتاعب ويخلف وراءه مجداً ،
ومركزاً ، وجاهاً .. فيعود وقد أبدله الله خيراً مما ترك وأكثر ..
يعود أميراً على المدائن ، ولكن من نوع آخر كتلميذ صادق من مدرسة
النبي العظيم .

تشهد فارس .. أمير المسلمين يعلمهم .. كيف يكون الحاكم
الاسلامي ..

اذ يمر في الطريق متفقدا القوم فيلقاه رجل شامي .. غريب ..
فينادي عليه ليحمل عنه متاعه فيسمع كلامه .. ويمر على القوم
فيقومون للأمير ويطلبون أن يحملوا عنه المتاع .. فيدهش الشامي
.. ويعرف أنه قد أخطأ التقدير فيلج على سلمان بترك المتاع
معتدراً ولكنه يرفض حتى يبلغ مكانه ..

و .. يرويه يوزع عطاءه الوفير وقدره خمسة آلاف درهم على
المحتاجين وأبناء المجاهدين .. ويقول لمن يعاتبه عما تركه لنفسه
وعياله (اشترى خوصاً بدرهم فأعمله ثم أبيعك بثلاثة دراهم فأعيتك
درهما فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدق بالثبالت ولو أن
همر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما نهيت ..) ..

ويكتب اليه أبو الدرداء من الشام - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخى بينهما - فيقول (سلام عليك . أما بعد - فإن الله قد رزقني بعدك مالا وولدا ونزلت الأرض المقدسة ..) . فيرد عليه سلمان (.. سلام عليكم - أما بعد - فإنك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك .

وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة وأن الأرض لا تعمل لأحد أعمل مكانك ترى واعدد نفسك من الموتى :

و .. تشهد الدنيا كلها . في عهد عثمان بن عفان .. يوم وفاة سلمان الفارسي .. وقبل لحظات الرحيل يدخل سعد بن أبي وقاص عليه ليعود فيجده في بكاء طويل فيسأله عن سر ذلك و .. (قد توفي رسول الله وهو عنك راض ..) فيقول سلمان .. (والله ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله عهد إلينا عهدا فقال ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وها أنا ذا - وحولي هذه الأساود - فينظر سعد حوله ليرى هذه الأشياء الكثيرة التي يتحدث عنها وتبكيه .. فيزداد دهشة و .. وتقدير .. و .. واكبارا لسلمان ، إذ يقول (فنظرت فلم أر حولي إلا جفنة ومطهرة) .

وانحنى سعد على سلمان يقبله ويقول له (يا أبا عبد الله عهدنا إلينا بعهد نأخذه عنك فقال سلمان . يا سعد . أذكر الله عند همك إذا هممت .. وعند حكمك إذا حكمت .. وعند يدك إذا قسمت) .

وفي عام ٣٥ هـ .. آخر عهد عثمان بن عفان يذهب سلمان الفارسي إلى عالم الخلود كآية من آيات الله يوم عاش .. ويوم بحث من الحق .. ويوم عاد إلى بلده ثم أب إلى خالقه .. .

يقول حذيفة بن النعمان إن
التف حوله من أصحابه لحظة
نهاية عمره ردا على سؤالهم (بم
تامرنا اذا اختلف الناس ؟)
فيقول لهم : (عليكم بابن سمية
(عمار بن ياسر) فإنه لن يفارق
الحق حتى يموت .

عمار
ابن ياسر

اذا كان بلال رضى الله عنه قد رأى من العذاب
الوانا وانواعا حتى أصبح نموذجا وحده في الاحتمال
وايثار العقيدة فان الذى لقيه أخوه في الاسلام عمار بن
ياسر نوع آخر سيظل يرسم بأحرف من نور القدرة
الخارقة في الاحتمال البشرى لأصحاب العقائد . .
ونموذجا فريدا من المناضلين المؤمنين الأول . . الذين
باعوا أنفسهم الى الله ليرفعوا راية لا اله الا الله محمدا
رسول الله . . وليكون صورة مشرقة لكل مؤمن عبس
التاريخ وحتى تقوم الساعة .

وعمار بن ياسر هو ابن الشهيد ياسر وسمية وأحد الذين
يفتقدهم رسول الله في شوق كلما غابوا ويدود عنه كلما رأى
مغاضيا له حتى قال عليه الصلاة والسلام - من عادى عمارا فقد
أبغضه الله - . . . (اهتمدوا بهدى عمار) . .

ووراء هذه المنزلة في نفس نبي الرحمة قصة طويلة تأثر بها -
تاريخ عمار فقد أحب الحق وسعى اليه . . وأحب الطريق السوى

وآمن بالخير. وخب العدل وبغض الظلم والظلمة .. وأعلمه أبواه
ياسر وسمية من قبل إسلامه ألا يعبد الأصنام والا يقدم لالهة مكة
القرابين وأن يبحث معهما عن خلق السماء والأرض حتى جاءت
الدعوة المحمدية فكان أول آل ياسر اسلاميا .. وذهب الى والديه
يدعوهما الى الاسلام ووجدا في الدين الجديد ما كان ينتظران .. ومن
أجل هذا صغر امامهما حقيقة الوضع الذي يعيشونه في مكة وفي
أنهم - الثلاثة - غرباء فيها .. وما يلقاه أصحاب محمد من العذاب
والتنكيل .. كل هذا هان في نظرهم .. ودخلوا في الاسلام حبا
وايمانا .

ومن يومها بدأ نضال هذه الأسرة الرائعة من أجل دين الله ورفع
لواء الاسلام .. بالاحتمال .. والاصرار والتضحية ..

وبدا مع الثلاثة أيضا أبشع قصة تعذيب عرفها التاريخ الى
الآن أو سيعرفها التاريخ يوما ما .. فقد وضع الثلاثة في مكان
واحد وصب عليهم اياما وليالي كل أنواع التعذيب من السج
والضرب والكي بالنار وتمزيق الجسد بالسيف وسمل العيون
والقذف بالماء المغلي حتى يخرجوا عن دين الله ويسبوا محمدا
ودينه ورب العزة .. ولكنهم يرفضون .. ولا يقبلون لدينهم
الضعة ولا المهانة وانما يذكرون في كل ذلك دينهم في جلال
وقداسة .

ويناهد عمار من وراء سحب العذاب انه وهى تكوى بالنار
ويستمع الى صراخها الذى يدمى قلبه ويستمر في ثباته وايمانه ..
ثم يسمع شهقة أمه الجريحة وهى تنهى آخر أيامها بالدنيا وتصعد
روحها الى الله بارئها .. فيحبس دموعه .. وتكون سمية أول
شهيدة في الاسلام .. ولكن عذاب عمار لا ينتهى فما هى الا دقائق
.. حتى يلحق أبوه بأمه ليكون هو الآخر أول شهيد في الاسلام .

ويتعذب عمار ولا يضعف .. ولا يحقق للمعتدين رجاءهم في
أن يخرج عن دين الله .. بل ان مشاهدي عذابه من الكفار يثرون

على معذبيه ليفك أساره حتى يتقبل العزاء في والديه .. ويحملك
الى داره ومعه جثة والديه .. واشترك في ذلك خصوم دينه مع
وفاقه من المسلمين امام العذاب الذي شاهده .. ويقوم المسلمون
ومنهم عثمان بن عفان بكل ما يتطلب من عمار في مثل هذه المناسبات
.. ويبقى عمار ولا يعزيه عن جروحه غير ايمانه العميق وبشرى
النبي له ولا الهه .. ومع ذلك فلا يملك لأحزان قلبه على والديه عزاء
.. حتى ليذكره أصحابه بوعد النبي لهما ويقول له عثمان بن
عفان ان رسول الله وعذك بما وعدهما به - فيقول عمار - (هيهات
أبا عمر ولو مت معهما لكنت خليفا أن أرضى ولكنهما ذهبا وبقيتة)
وفي الحياة فتنة وفي النفس ضعف وأنه ليحزنني أن فائتي بهما
الموت فأصبحت معرضا لما يتعرض الناس له من الاثم الذي
يجب على العمل ومن السيئات التي تمحو الحسنات) .

ولا يزال أصحاب رسول الله يعزونه ويعاونونه على حياته
حتى يعود الى عمله ولقاء صحبه والاجتماع برسول الله .

ولا يتركه المشركون ..

بل يعودون الى تعذيبه وايلامه .. وتستمر ايام العذاب
رهيبه .. حتى ليقول عمرو بن الحكم (كان عمار يعذب حتى
لا يدرك ما يقول) .

ويقول عمرو بن ميمون (احرق المشركون عمار بن ياسر بالنار
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر بيده على رأسه
يقول يا ناري كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت بردا وسلاما على
ابراهيم) .

وكانوا مع ذلك يتركونه اياما أخرى حتى يقوى على مرحلة
أخرى من العذاب .. وهو لا يحيد عن موقفه .. بل يصمد (١٠٠) .
ويزداد ايمانا .

وخلال فترة التعذيب والعودة اليه كانت الجراخ تقعد عمارا في داره فيأتيه أصحابه .. ولا يتركونه الا ليعبد الله وفي مكان من بيته اتخذ مسجدا حتى نزل فيه قرآنا كريما يقول تعالى « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب » .

ويأذن رسول الله لبعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة ويطلب من عمار أن يكون معهم .. فيهاجر عمار ولكنه لا يطيق البعاد عن رسول الله ويجد أن عذاب الاغتراب أقسى من عذاب السياط والنار فيعود مرة أخرى الى مكة ولكنه لا يبقى طويلا اذ يأذن الرسول بالهجرة الى المدينة .. فيسبقه عمار اليها مع من سبق .. ويلتقي بالنبي في المدينة ويشترك مع المسلمين الاول في بناء أول مسجد ويحضر مع الرسول جميع المارك والمواقع رغم كبر السن ورغم عذاب الجسد ومعاناته واحتمالاته ومع هذا فقد كان من أول المناضلين المجاهدين وأكثرهم تقبلا للمشركين وأكثرهم شجاعة .

وظل عمار قريبا من رسول الله يفتقده اذا غاب .. ويسأل عنه دائما .. واذا ما سمع صوته قادما الى منزله يقول عليه السلام « مرحبا بالطيب المطيب الدنوا له » . وكان رسول الله يغضب لغضب عمار فقد أفضبه يوما بعض الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم « ما لهم ولعمار يدموهم الى الجنة ويدمونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عيني وألقي » .

وذات يوم سقط جدار كان عمار يعمل تحته فظن البعض أنه مات فذهبوا الى رسول الله ينعونه فقال لهم « ما مات عمار » .
تقتل عمار الفئة الباغية » .

ويقف عمار حيث اراد له الله ورسوله في جانب الحق وكما يقول حذيفة بن النعمان ان التف حوله من أصحابه لحظة نهاية عمره

ردا على سؤالهم « بم نامرنا اذا اختلف الناس » فيقول لهم « عليكم
يا بن سمية فانه لن يفارق الحق حتى يموت » .

ولانه لم يفارق الحق فانه لم يطلب ثمننا لنضاله ولا مواقفه من
الاسلام لم يطلب مالا ولم يتخذ من اسمه وحب رسول الله له من
بعده اسبابا يرتقى بها المناصب ويتعامل في المتاجرات حتى يكون
ثروات طائلة او يتخذ لنفسه مكانا من المسجد فيصير اماما يهز
الخلفاء وتكون له جماعة تهز الدنيا من حوله .

ان عمارا اتخذ الحق صديقا ورفيقا والتزم جانبه ولم يجد عناء
لان في ذلك تعاليم رسول الله . فوقف الى جانب ابي بكر في معارك
الردة رغم الاحزان والعمر الذي يجرى حتى ليقول عبد الله بن عمر
« رايت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد اشرف يصيح
يا معشر المسلمين امن الجنة تفرون ؟ انا عمار بن ياسر هلموا الى
فنظرت اليه فاذا اذنه مقطوعة تتارجح وهو يقاتل أشد قتال » .

واشترك بعد ذلك في معارك الفرس والروم ايام الخليفة حسين
الاولين . . ابي بكر وعمر . . ومرة واحدة تحول موقع نضال عمار
من ساحات القتال الى تربية الرجال . . يوم أن ألح عليه عمر أن
يتولى امرة الناس في الكوفة ليعلم الداخلين الى الاسلام دينهم الحق
فهو أكثر الناس من حول عمر قدرة على هذا . . ويرسل عمر
خطابا الى أهل الكوفة يقول فيه :

« اني بعثت اليكم عمار بن ياسر اميرا وابن مسعود معلما
يوزيرا وانهما من النجباء من اصحاب محمد ومن أهل بدر » .

وذاث يوم أراد أحد العامة ان يختبره فيغيظه وهو أمير عليهم
فقال له معيرا « يا اجدع الاذن » فإرد عليه « خير اذنى سببت ففدا
اصيبت في سبيل الله » .

ويقتل عمر . . ليأتي عثمان . . فيجد عمارا أن محاله لم يعم
تولى المناصب وانما النضال من أجل الصورة المشرقة للحنك
الاسلامي فخاصم عثمان على حاشيته وسياسته الجسدية وظل
الخلاف حتى تولى الخلافة على ابن ابي طالب ومن يومها لم يتركه
عمار . . كان الى جانبه بالرأى والمشورة والسياف .

وقامت موقعة صفين بين علي ومعاوية وقد بلغ عمار من العمر
الثالثة والتسعين فوقف يخطب الناس في ساحة المعركة « أيها
الناس - سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يشارون
لعثمان والله ما قصدهم الأخذ بشأره ولكنهم ذاقوا الدنيا واستمراوها
وعلموا أن الحق يحول بينهم وبين ما يتمرغون في شهواتهم ودنياهم
وما كان لهؤلاء سابقة في الاسلام يستحقون بها طاعة المسلمين لهم
ولا الولاية عليهم ولا عرفت قلوبهم من خشية الله ما يحملهم على
اتباع الحق . . » وأنهم ليخادعون الناس بزعمهم أنهم يشارون ندم
عثمان . وما يريدون الا أن يكونوا جبابرة وملوكا .

ثم يرفع عمار راية فوق رأسه ويصرخ بأعلى صوته في الناس
فائلا (والذي نفس محمد بيده ، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما أنا أقاتل بها اليوم) .

وينطلق بعد ذلك عمار في القتال ذودا عن علي لانه في جانب
الحق . وهنا يقول أبو عبد الرحمن السلمي « شهدنا مع علي رضي
الله عنه صفين فرايت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية من نواحيها
ولا واد من أوديتها الا رايت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يجعون كانه علم لهم . . وعندما غربت الشمس ذلك اليوم وكان
صائما قال : اسبقوني فجيء له بشربة من لبن يفرط عليها فلما رآها
ابتسم . . ثم افرق في الضحك ثم قال « قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم آخر زادك من الدنيا لبن حتى تموت وأخذ يقاتل جنود
معاوية وهو يردد قوله الجنة تحت أطراف العوالي . الظلمات يرد
الماء . الماء مورود . اليوم القى الأجرة محمدا وصحبه » .

وتنجلى المعركة في صفيين بعد أن تقتل الفئة الباغية عمارا بن ياسر . . ليحتضنه ابن عم النبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى صدره والدم يبلله . ويكفنه في ثوبه . ويصلى عليه ومعه حشدا كبيرا من المسلمين ثم يقف عليه قائلا « رحم الله عمارا يوم أسلم ورحم الله عمارا يوم قتل - ورحم الله عمارا يوم بيعت حيا . لقد رأيت عمارا وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة الا كان رابعا ولا خمسة الا كان خامسا وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك ان عمارا قد وجبت له الجنة فهنيئنا لعمار بالجنة » .

ومات عمار في عامه الثالث والتسعين بعد نضال يعز على الدنيا أن ترى نظيره مات رضى الله عنه وهو يقاتل في ساحة القتال من أجل الحق ليتحقق فيه القول الخالد « ان عمارا مع الحق والحق معه يدور . عمار مع الحق اينما دار وقاتل عمار في النار » .

كان الحسن بن علي بن أبي
طالب ينقد كل شيء يراه يستحق
النقد وفي حق حتى ولو كان آباه

ف ذات يوم وعند الربرة وفي
موقعة الجمل وقف الحسن
يناقش آباه فقد صعب عليه أن
يرى المسلمين شاهري سيوفهم
لتنخضب أرض الصحراء بدمائهم
فاشتد الجدل •

فقال الحسن لأبيه : « والله
اني لأظن أنك ستقتل بمضيعة
لا ناصر لك » •

الإمام الحسن

علت الفرحة كل وجوه بيت النبي •

فقد ولدت فاطمة .. وكان المولود ولدا .. أول

ولد لبيت النبوة •

وأخذه أبوه علي بن أبي طالب إلى رسول الله الذي ضمه إلى
صدره وأخذ يدعو له ويتلو بعض آيات الكتاب • ورفع النبي رأسه
ليسأل علي بن أبي طالب : « ما ستسميه يا علي ؟ » فقال : « ما كنت
لأسبقك باسمه يا رسول الله وإن كنت أحب أن أسميه حربا »
فقال النبي : « بل سمه حسنا » •

وكان الحسن .

وكان أحب الناس الى قلب رسول الله . . .

كان يلعبه ويحنو عليه . . ويتفقده في كل وقت . . حتى بلغ هذا الحب مداه . . وأصبح حديث كل العرب . . ففقد رأي رجل من الأنصار رسول الله وهو يلعب الحسن ويضاحكه ويقبله في حنان الأبوة فقال : والله يا رسول الله لم أقبل ولدا لي قط ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« أرايت أن كان الله تزغ الرحمة من قلبك فما ذنبي »

ثم يضع رسول الله قاعدة لكل أب فيقول :

« من كان له صبي فليستصب له » .

وكلام كثير عن حب الرسول للحسن . . ومواقفه لهذا الحب . . تبلغ الى حد أن يركب الصبي فوق كتفه وهو يصلي ويستتمن النبي في سجوده . . فيطول لكيلا يقطع على الطفل فرحته ولعبه .

وعاش الحسن في حنان النبي سنوات طفولته المبكرة وكان يتعلم منه كل ما يجب معرفته عن الحياة .

وكانت تنقش في ذهنه أولى معالم المعرفة وهو في كنف النبي . . وفي حجره وبين صحابته . .

وانتقل النبي الى الرفيق الأعلى . .

وبقى الصبي وعمره آنذاك لم يتجاوز الثامنة ، ومع هذا لم يتصور هذا الصبي أن أباه رسول الله قد خلا مكانه . . فكان يذهب الى كل مكان تعود أن يلقيه فيه باحسا عنه . . حتى أبكى الصحابة طويلا من حزنه العميق . .

وذات يوم وأول مرة يصعد فيها أبو بكر متبر رسول الله فوجيء الصبي بقوم يستمعون الى أبي بكر وهو يخطب فيهم .

فاخترق الصفوف متلهفا يجرى الى المنبر كما كان يفعل فلما وقعت
هيناه على أبى بكر بكى وصرخ :

« انزل من على منبر أبى » .

وقفت الكلمات فى حلق أبى بكر وبكى ونزل فاحتضن الحسن
وقال : والله انه لمنبر أبىك .. والله لو استطعت ان أفتديه بعمري
ما تأخرت . وأجهش بالبكاء وبكى كل الحاضرين وقد استروحتهم
ذكرى رسول الله .

ومرت الأيام سراعاً ليكبر الصبى .. ويشهد مع الأيام
الأحداث الجسام .. بعد ما فقد رسول الله وأمه فاطمة فى عام
واحيد ...

ولم يظهر على مسرح الأحداث الا أيام عثمان .. يوم وقف
بدود عنه ويمنع السهام حتى تخضب وجهه بالدماء .. ولم يعده
الا ابن أبى بكر .

ثم نراه شاباً قويا يقف الى جوار أبيه فى محنته أيام حكمه
يعمل العقل ويرجع كل أمر الى موقف رسول الله منه ، وكان
سؤاله الدائم لأبيه ولكل من حوله : ماذا كان من أمر رسول الله فى
أمر كهذا وفى يوم النهروان سأل أباه :

« يا أمير المؤمنين اكان رسول الله تقدم اليك فى أمر هؤلاء
بشيء » .

فأجابه : « ان رسول الله أمرنى بكل حق ومن الحق ان اقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين » .

وكان ينقد كل شيء يراه يستحق النقد وفى حق حتى ولو كان أباه
على بن أبى طالب .. فذات يوم وعند الربرة وفى موقعة الجمل وقف
الحسن يناقش أباه فقد صعب عليه ان يرى المسلمين شاهري سيوفهم
لتخضب ارض الصحراء بدمائهم فاشتد الجدل فقال الحسن
لأبيه « والله انى لأظن انك ستقتل بمضيعة لا ناصر لك » .

فقال علي « انك لا تزال تحن علي حنيننا جارها ولكن قل لي ماذا رأيت أنت فاستصوبته » .

فقال الحسن « لقد رأيت يوم أحيط بعثمان أن يخرج من المدينة فيقتل وليست بها ثم رأيت لك يوم قتله إلا تسابع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر كأنهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي ، ورأيت لك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان علي يد غيرك فلم تقنع مني بذلك » .

فرد عليه الاب . . وكان يعلمه . واختتم حديثه :

« اتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ها هنا حتى تحول وإذا لم أنظر فيما يلزم من هذا الأمر ويعتني فمن ينظر فيه ؟ فكف عني يا بني » .

وكان رضى الله عنه خير سفير . . وخير متحدث . . فكان أبوه يرسله إلى الوفود . . بعث به مع وفد من الصحابة فيه عبد الله ابن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سبلج إلى العسراق يستنقون الناس قبل موقعة الوقائع . وكان هناك أبو موسى الأشعري يعمل لتسكين القوم . فوقف الحسن من فوق المنبر يخاطب جماهير المسلمين فتهتز له القلوب : « أيها الناس انه قد كان من مسير أمير المؤمنين ما قد بلغكم وقد اتيننا مستنفرين لأنكم جهة الأنصار وروس العرب ، وإيم الله لو لم ينصره أحد منكم لرجوت فيمن يكون قد أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فأجيبوا دعوة أمير المؤمنين وسيروا إلى أخوانكم فستروجد لهذا الأمر من ينفر إليه والله لئن يئنه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وأخير في العاقبة فاعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وإن أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخزجي هذا ظالما أو مظلوما فأذكر الله رجلا رعى حق الله ألا نفر فان كنت مظلوما أعانني وإن كنت ظالما أخذ مني » .

وكان رضى الله عنه طيب الخلق يالف ويؤلف ، غائب على بن طالب سليمان بن حرة الخزاعى فعنفه بشدة الغضبه وتحدث بما أحسن به من مشاعر الى الحسن فاجابه « انما نعايب من ترجو مودته ونصحه » . فسر الخزاعى وكان لم يحدث شئ .

وارتبط على الاب بالحسن الابن برباط قوى . . وكان كثيرا ما ينصحه قال له يوما :

« يا بنى احفظ عني اربعا واربعاً لا يضرک ما عملت معهن ان اغنى الفنى العقل وافقر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجيب واكرم الحبيب حسن الخلق .

يا بنى اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعلك فيضرك وياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه وياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه وياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب » .

واحسن على مرة بقرب المنتهى فقال للحسن « انى وجدتك بعضى بل وجدتك كلى حتى كان شيئا لو اصابك اصابنى فعنانى من امرک ما يعينى من امرى - وأوصيك بتقوى الله ولزوم امره وعمارته قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله . . ولا تبع آخرتك بدنياك وأمر بالمعروف تكن من اهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك وجاهد فى الله حق جهاده . . يا بنى اجعل نفسك ميرانا فيما بينك وبين غيرك فاحجب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقيم ما تستقيم من غيرك وارض من الدنيا بما قرضاه لهم من نفسك » .

و . . على فراش الموت كان على يمين على الحسن وعلى يساره الحسين فأوصاهما ، « اعملا الحق وقولاه وارجعا وارحما اليتيم واغينا الضعيف واصنعا للاخيرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم انصارا » . واعملا لله ولا تخافا فيه لومة لائم » .

**ووجد الحسن نفسه بعد موت أبيه على بن أبي طالب مطلوباً منه
- وبلا مقدمات - أن يتولى أمر المسلمين . . ورفض . .**

ولكن المسلمين من حوله أبوا أن تنتهي المعركة بين علي ومعاوية
بانتصار الأخير . . ووازنوا بين اثنين كان أقربهما إلى قلب المسلمين
ابن بنت النبي .

وعلم معاوية بالأمر فبدأ يستعد لمعركة قاسية ففيها نهاية
بداية إمبراطوريته . . واستعمل كل أسلحته المعروفة عنه . .
الدهاء والمال إلى جانب الأرهاب والسيف . . وأسرع بالعمل وبدأ
الخلافة يدب بين أنصار الحسن ، لا عليه شخصياً ، بل بينهم فإن
معاوية لم يكن ليجد على الحسن شيئاً . . ولم يكن يستطيع أن
يواجهه العداء مستنداً إلى حجج ترجح كفة ميزانه وهو الذي سمع
رسول الله يقول : من أحب الحسن أحبني ومن بغضه أبغضني لذا
كانت معركته بالسيف . . وتشتيت شمل أنصار الحسن حتى
يتحاربوا .

ورأى الحسن أن يرد الأمر إلى عامة المسلمين ليختاروا من
يشاءون من غير قتال ولا أروقة دماء . . كان أخشى ما كان يخشاه
الحسن أن يتقاتل المسلمون . .

ولكن المسلمين رفضوا من الحسن تنازله . فلجأ إلى وسيلة
أخرى يحول بها دون تقاتل المسلمين .

فأرسل إلى معاوية خطاباً قال فيه « إنما جعلني على الكتابة
إليك الأعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ولك في ذلك أن
فعلت الحظ والصالح للمسلمين فدع التماذي في الباطل وادخل
فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أنني أحق بهذا منك عند
الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب . وأثق الله ودع البقي
وأحقن دماء المسلمين . . فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من
دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به . وادخل في السلم والطاعة ولا تتنازع
الأمر أهله » .

فرد عليه معاوية « .. وقد فهمت الذي دعوتنى اليه من الصلح .. ولكن قد علمت انى أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الامة تجربة وأكبر منك سنا فأنت أحق أن تجيبنى الى هذه المنزلة التى سألتنى » .

ولم يرد الحسن .. واستعجل معاوية الأمر فإذا به يعاود الكتابة الى الحسن قائلا « أما بعد فإن الله يفعل بعباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع الناس .

فرد عليه الحسن « وصل كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك خشية البغى عليه وبالله اعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم اتى من أهله وعلى الاثم أن أقول فاكذب والسلام » .

• واستعدت الجيوش للقنال •

واهتز الحسن لفكرة أن تسيل دماء المسلمين بيد المسلمين وفي اغراض لا تنفع احدا .

ووجد الحسن امامه مرة أخرى ارواح المسلمين معلقة فى عنقه .. وشاهد ما تحدثه مؤامرات معاوية .. وتفرقة الصفوف وظهور الخوارج .. وعلم أن النتيجة بلا جدال ستكون من أجل الدنيا ومن أجل معاوية ولكن سيقدم الوف المسلمين ارواحهم قربانا لموكب نصر معاوية .. فآثر أن يهادن الأمر حتى يجمع المسلمون على وحدتهم وتنقشع عن أعينهم غشاوة زخرف مال معاوية واغراءاته .. وقبل مصالحة معاوية وأن يقر له بالولاية مشروطة بأمر أهمها :

أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين .

وليس لمعاوية أن يعهد لأحد عهدا بل تكون الخلافة للحسن من بعده أو يكون الأمر شورى بين الناس . والناس آمنون حيث كانوا من أرض الله .

وان يوصل لكل ذى جق حقه .

وحفظ الحسن عهده وترك الكوفة ليقضى في المدينة تسع سنوات ونصف سنة عابدا يحفظ حق الله وينصح لكل ما يرى من خطا وما اكثره .

ومع هذا فلم يترك في حالة بل وعندما بلغ من العمر السابعة والأربعين قيل ان زوجته جمعة دست له السم بتحريض من معاوية ووعده بأن يزوجها ابنه يزيد من بعده فمات الامام الحسن لتبكيه المدينة وكل البقاع الاسلامية .

ولتبدأ المعركة الفاصلة من بعده بين الحق والضلال بين ((الأريحية والنفعية)) بين أخيه الحسين . . ومعاوية ويزيد من بعده ولتكون من بعده . . كربلاء .

وقف الحسين بن علي بن
أبي طالب يخطب في الجيش
الذي يقوده ضده الحر بن يزيد
التميمي :

أيها الناس اني لم آتكم حتى
آتتني كتبكم ورسلكم ان اقدم
علينا فليس لنا امام - لعل الله
يجمعنا بكم على الهدى والحق .
فقد جئتم فان تعطوني ما اطمئن
عليه من عهدكم ومواثيقكم
اقدم مفركم وان لم تفعلوا او كنتم
لقدومي كارهين انصرفت عنكم
الى المكان الذي آتيت منه » .

الإمام الحسين

وجاء الحسين .. وزاد فرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالوليد الجديد .. لقد أصبح للحسن أخ ..

وصارت فرحة البيت النبوي حديث صحابة رسول الله ..
واحب النبي الصبيين .. حتى اختلف الصحابة والمقربون من النبي
ايهما احب الرسول اكثر .. وبدأ الآباء يتعلمون شيئا جديدا في
حياة العرب .. معالم تضيء حياة كل بيت ، وتدعم نظام كل أسرة ،
وتجعل من الحب نبع الحياة لكل عائلة .

ويرى لنا التاريخ عن حذب النبي على الحسين الكثير .. فقد
مر يوما على بيت فاطمة فسمع حبيبتنا يبكي .. فدخل البيت واخلى

الحسين يداعبه ويضاحكه ويقول لابنته فاطمة « ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من التردد على بيت فاطمة ويقول لها : ادعى الى ابني ، فيشتمهما ويضمهما له . . ولا يبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين . . حتى أن أبا هريرة يقول : « أنه كان عليه السلام يدلع (يخرج) لسانه الحسين فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش اليه » .

ويظهر للصحابة حب الرسول الكبير لابنه الحسين ذات يوم حين يخرج عليه السلام للصلاة ومعه الحسين فوضعه الى جواره ثم كبر للصلاة فأطال سجدة الصلاة حتى قال راوي الحديث « فرفعت رأسي فاذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد فرجعت الى سجودي فلما قضى الصلاة قيل يا رسول الله . أنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك ، قال عليه الصلاة والسلام : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله » . .

بل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ صغيره الى كل مكان . . حتى جلسة العلم التي يخبر صحابته فيها عن أمور دينهم ما بلغه من ربه . . وكأنه يقول لكل الناس من حوله . . وصايا . . يحفظونها فيما بينهم في هذين الصبيين . . بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضم الولدين ويأخذهما الى قلبه . . ويمسك دمه وخفقات قلبه الشريف تدق ألما للمصير الذي يحس أنهما سيلقيانه من بعده . .

وتمر الأيام . . ويعيش الحسين رضى الله عنه أحداث الحياة . . وهي تمر بالعالم الاسلامي . . وبالمجتمع المسلم . . ويساهم بدور محدود . .

فقبل أن يلى والده على بن أبى طالب خلافة أمر المسلمين . . كان يدور في فلك أبيه . . فقد كان رضى الله عنه يتعلم دينه . . ويعلمه

ثم يعمل به .. فسار مع والده مودعا ابا ذر الى منفاه .. وكان
معهما الحسن وبعض الصحابة رضى الله عنهم .. فقال الحسين
فيما قال لابي ذر :

« يا عماء ان الله قادر ان يغير ما قد ترى . والله كل يوم في
شأن . وقد منعك القوم دنياهم . ومنعتهم دينك . وما اغناك عما
منعوك واحوجهم الى ما منعتهم . فاسأل الله الصبر والنصر . واستعد
به من الجشع والجزع فان الصبر من الدين والكرم وان الجشع
لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر اجلا » .

ثم مرة ثانية كان الى جوار عثمان بن عفان يذود عنه ويحاول
حمايته من السائرين .. حتى يشخن بالجراح ، ويصاب في أكثر من
موقع .. وكان مع ابيه .. في كل معاركه ومواقفه .
وبعد ابيه ..

كان الحسين الى جوار اخيه الحسن .. نعم الأخ .. ونعم
رفيق الحياة .. يستمع الى ما يقول فينصحه .. ولكنه في آخر
الامر يطيعه فيما يذهب اليه حتى ولو كان ضد رايه .

حدث ذات يوم ان الحسن قرر التسليم لمعاوية .. فعارض
الحسين ورفض المسألة وأشار على اخيه بالقتال ، واشتدت معارضة
الحسين لأخيه جدالا ومنطقا ولكن الحسن آخر الامر أصر على
موقفه وصرخ في وجه اخيه قائلا : « والله لقد هممت ان أسجنك في
بيت وأطين عليك بابه حتى أقضي بشأني هذا وأفرغ منه ثم أخرجك » .

واحترم الحسين اتجاه اخيه .. وصمت .. وأطاعه . ليس
في حياة الحسن فحسب .. بل وبعد مماته .. ولم يخرج على عهد
الحسن لمعاوية ..

وعاش الحسين سنوات عمره بعد اخيه الى جوار قبر جده ..
وفي مسجد نبي الاسلام .

وكان معاوية .. يستمع أخبصار الحسين .. ويرى أثره في كل
من لاقاه .. ولا يخشى غير الحسين ..

وكان معاوية يعرف خلق الحسين رضى الله عنه ويخشاه ومن
هنا جاءت المعركة عاجلة ..

قال معاوية لأصحابه ذات يوم وقد بعث بهداياه الى المدينة « أن
هستم أنبأتكم بما يكون من القوم .. » وأخذ يصف حال كل من تصله
هديته وماذا سيفعل بها حتى قال : « أما الحسين فيبدأ بابتسام
من قتل مع أبيه يوم صفين فان بقى شيء نحر به الجرز وسقى به
البن » .

وبهذه المعرفة للأخلاق النبوية الشريفة الطاهرة في سلوك وحياة
سيد الشهداء .. وتصححت معالم المعركة الرهيبة في عالم الفداء ..
ودنيا الاستشهاد .. وحياة الأبطال ..

فقد رأى معاوية لأمر ما أن يجعل الحكم وراثيا في أهله ..
وخشى أن هو مات أن لا يتحقق له ما يريد .. وبدأ يأخذ البيعة
لابنه .. ويشتريها بالمال وتولية المناصب .. ولم يكن يخاف الا من
الحسين ..

ثم مات معاوية .. وتولى الخلافة ابنه يزيد من بعده .. وبدأت
معركة الانتشهاد ..

وبدا الحسين رضى الله عنه يدود عن دين الله وهو يرى على رأس
الامة الإسلامية .. وفي مكان أبي بكر وعمر وعثمان وعلى .. حاكما
يطلق على نفسه اسم الخلافة ولا يعمل بأمر الدين .. وانما يشرب
الخمر .. ولا يقيم الصلاة .. وينتهك الأمراض ويبيع الأرواح ..
ويستبيح الحرمات والدور حتى مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ..

ورفض الحسين بن علي .. ربحانة رسول الله .. كل دعوة
لتأييد يزيد ..

وبدأت جماهير المسلمين تبحث لها عن خليفة يتولى أمرها ..
ولم يكن لها أن تعطل البحث أو تتعب فيه .. فعندها ابن بنت
رسول الله .. وقد بلغ من العمر السابعة والخمسين .. واكمل
نضجه .. وظهرت عبقريته .. وعاش الناس في حكمته ..

وجاءت الدعوات اليه من الكوفة .. ومن مكة .. ومن أبناء
المهاجرين .. وبقية السلف ..

وذهب الحسين الى مكة ..

ومكث فيها أربعة اشهر يدبر فيها أموره .. وليعرف حقيقة
أمر الدعوات التي انهالت عليه من كل مكان تدعوه الى الظهور وطلب
البيعة .. وكان أكثر هذه الدعوات وأشدّها من أهل الكوفة وما
جاورها إذ كتبوا اليه يقولون أن هنالك مائة ألف ينصرونك ويستعجلون
ظهورك .. ومع ذلك .. فإن الحسين رضى الله عنه أراد الاستيثاق
قبل أن يترك بيت الله الحرام فأرسل الى أهل الكوفة مركز التجميع
الداعي اليه ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليعرف له جلية
الأمر ويأخذ البيعة له من أهل الكوفة ومن حولها قبل قدومه عليهم
وأرسل معه كتابا اليهم يقول فيه « أما بعد فقد اتتني كتبكم وفهمت
ما ذكرتم من محبتكم لقادومي عليكم وقد بعثت اليكم أخى وابن عمى
ونقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب الى بجالكم
وأمركم ورأيكم فإن كتب الى أنه قد أجمع رأى بلكم ذوى الفضل
والحجة منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرات في كتبكم
أقدمت عليكم وشيكا أن شاء الله فلعمرى ما الإمام الا العامل بالكتاب
والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحاسب نفسه على ذات الله
والسلام » .

ولم يكد يصل مسلم ويدخل المسجد حتى اجتمع حوله ثمانية
عشر ألفا يبايعون الحسين بالخلافة .. وازدادوا حتى بلغوا الثلاثين
ألفا .. وأرسل يستعجل مقدم الحسين ويصف له اجماع الناس
عليه ..

وهنا بدأت القوة الأموية بأساليبها تتجه الى مركز الثقل الداعي الى الحسين .. الى الكوفة .. فأرسلت اليها قوات لا تعرف الإيمان .. ولا تخاف الله ولا تفهم الا المال وحب الدنيا .. وبدأت أيضا تنفذ أساليبها الأموية من الرشوة والخديعة والارهاب ..

وكان على رأس هذه الفئة عبيد الله بن زياد .. الذي أمر جنده بالانتشار حول كل بيت ليسمعوا الى ما يدور فيه ويقبضوا على كل معارض لحكم يزيد حتى خاف الناس جميعا .. وانفضوا من حول رسول الحسين مسلم ابن عقيل الذي وقع في يد جند عبيد الله ، فقتلوه في اليوم التالي لتحرك موكب الحسين بن علي من مكة الى الكوفة .. من غير أن يعلم بالتغير الذي حدث ..

وكان هذا في اليوم التاسع لدى الحجة ..

ولم يكن في القاء القبض على مسلم ولا في قتله شيء من النخوة العربية ولا خلق الاسلام .. ولا شيء من تكريم نبي الاسلام وابن بنت نبي الاسلام .. من قوم يدعون الاسلام ..

ومرة أخرى .. تظهر أخلاقيات بني أمية في الحكم .. اذ قتل مسلم ولم تنفذ وصيته في أن يصل تحذيره الى الحسين في أن يعود لأن القوم سيوفهم جميعا عليه .. وقتل من أبلغه الوصية وتعهد بإبلاغها ، وقطع رأسه ليرسل الى يزيد في دمشق .. وألقى بجثته من أعلى القصر الى جموع الناس كمثل للعقاب الذي سيلقاه كل خارج على حكم يزيد .. وكل موال لابن بنت رسول الله .. ليس هذا فحسب .. بل كانوا يتعقبون كل انسان يتحرك ضميره فيهم بالسير الى الحسين محذرا فيقتل قبل أن يصله ..

واستمر موكب الحسين الذي ضم كل آل البيت في الطريق من مكة الى الكوفة ..

وفي الطرق .. كانت هناك بعض الأخبار المتعارضة تصل الى الحسين عن مقتل مسلم .. وعن عدول الناس عن مبايعته ... وتحولهم الى خصوم يطلبون رأسه .. وكان رضى الله عنه كما سمع

خبرنا من ذلك يجمع القوم الذين أثروا السير معسه ويقول لهم « لقلنا
خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم أن ينصرف فليتنصرف .. ليس عليه
منا زمام » ..

وكان البعض ينصرف .. وكان القلة هم الذين بقوا .. وكان
الحسين مصراً على السير الى لقاء القوم ليقول لهم كلمة الحق ..
ويبين لهم معالم حياتهم .. وليفرق بين الحق وباطلهم .. وليدلهم
على طريق الاسلام ..

وكان رضى الله عنه .. وكأنه مساق الى لقاء ربه .

وبينما هو كذلك فى طريقه يسير فى إباء وشمم .. وفى اخلاقيات
بيت النبوة .. اذا بجيش يحيط به .. أرسله عبيد الله من الف
فارس وأمرهم الا يدعوا الحسين حتى يقدموا به عليه فى الكوفة ..

وكان موعد اللقاء .. موعد صلاة الظهر .. وارتفع صوت
المؤذن للصلاة فوقف الحسين يخطب الجيش الذى يقوده ضده
الحر بن يزيد التميمي :

« ايها الناس انى لم آتكم حتى أتننى كتبكم ورسلكم أن أقدم
علينا فليس لنا أمام . لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق . فقد
جئتمكم فان تعطوني ما أطمئن عليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مقرم
وان لم تفعلوا أو كنتم لقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى
أتيت منه » ..

وأصر الجيش الأموى ذو الأربعة آلاف مقاتل .. على قتال
الحسين وصحبه .. وحبسوا عنه الماء ثلاثة أيام وتزيد .. وحدثت
فى الواقعة الأخيرة الحاسمة أحداث مرت بالبيت النبى .. فقد انتهكت
حرمانهم .. وحرمت عليهم المياه .. بل قذفوا ابن الحسن بسهم
ومات .. ولم يملك له عمه شربة ماء .. بل أن الحسين أشهد به
العطش فاتجه الى الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم وقع
فى فمه فانترمه الحسين فانبثق الدم حتى مآ كفتى ابن بنت رسول

الله فرقع عينيه الى السماء يقول (ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه انتقم لنا من القوم الظالمين) ..

وجاء اليوم الحزين .. يوم ١٠ من المحرم لعام ٦١ هـ ..

وقبل ان يبدأ القتال خرج الحسين مرتديا لباس رسول الله وعمامته فاخذ لمنظره الجميع .. ولكن أصروا على قتاله ..

واراد الحسين ان يخطب فيهم اسلامهم ان كان لا يزال في قلوبهم .. ورغم الضجيج ، ومقاطعة قادة الجند .. عملاء بنى امية فقد قال الحسين لهم : انبثوني من انا ؟ هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتي ؟ الست ابن بنت نبيكم ؟ .. أو لم يبلغكم ما قاله رسول الله لى ولأخى .. هذان سيذا شباب أهل الجنة ؟ ويحكم انطلبوننى بقتيل لكم قتلته أو مال لكم استهلكته ؟ ..

فلم يرد أحد .. ولم يتراجع منهم أحد ..

بل بدأت المعركة .. وكل السواعد الأموية تريد الحسين .. وكل أصحاب الحسين يدردون عنه بأرواحهم .. وتساقطوا واحدا وراء واحد .. حتى بقى ثلاثة واستشهد الثلاثة أيضا ..

وبقى الحسين وحيدا يقاثل ..

واصدر شمر بن ذى الجوشن أمره الى الرماة ان يرشقوا الحسين بالنبل . أندفعوا نحو سيد الشهداء « فضربه زرعة بن شونك التميمي على يده اليسرى فقطعها وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه ثم جعل يقسام ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى سكن حراكه » .. ووجد في جثمانه الشريف بعد موته ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير مائة وعشرين اصابة من النبل والسهم ..

وتقدم شمر وقطع رأس الحسين .. ووضعه على حربة .. ليقدما مع رؤوس الشهداء في موكب آل بيت رسول الله الى يزيد ابن معاوية .

والصحراء والدنيا كلها تردد صياح زينب رضى الله عنها
« يا محمداه هذا الحسين بالعراء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى
عليها الصبا » .

وبكاؤها الدامى « واككلاه اليوم مات جدى رسول الله وامى
فاطمة الزهراء وابى على واخى الحسن . فليت الموت اعدمنى الحياة »
يا حسينا .

يا بقية الماضين .

وئالة الباقين .

يسأل الرسول - عليه الصلاة
والسلام ذات يوم عن أحب
الناس إليه فيقول « عائشة »
فيقولون إنما نعني من الرجال
فيقول « أبوها » .
ويقول - عليه الصلاة والسلام
يوما : « ما لأحد عندي يد وقد
كافأناه فيها ما خلا أبا بكر فان
له عندي يدا بكافئه الله بها يوم
القيامة » .

أبو بكر الصديق

ليست هذه حياة الخليفة الأول أبو بكر الصديق
والما هي لحظات معه تبدأ من يوم هجرته مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

أن يأذن الله لنبيه بالهجرة من مكة إلى المدينة ويوافق الرسول
على مطلب الصديق أبي بكر من دون المسلمين جميعا في أن يكون
صاحبه في هذه الرحلة، الخطرة التي اهتزت لها قريش وقبائل
المشركين ودعاة الفكر في كل مكان .

وفي الغار حيث مكثا وقتنا غير قليل في انتظار لحظات يأس من
المشركين في مطلبهما ليواصل سيرهما ، رفع أبو بكر رأسه فرأى كل
شيء حوله فقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - (يا رسول الله
لو نظر أحدهم إلينا لرآنا) فيقول له الرسول : (يا أبا بكر لا تحزن
أن الله معنا ، ويقول ما ظنك بثنين الله ثالثهما) . وينزل قوله تعالى

(الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار) .

ومن يومها برقع ذكر أبى بكر في عالم الاسلام والمسلمين
والخلود ..

ويصل النبى وصاحبه الى المدينة سالين باذن الله ومن بعدها
ثم يفارق ابو بكر رسول الله . فلى الى جانبه فى الحرب وفى حلقات
الدرس وفى كثير من الأوقات فى بيت النبى عند ابنته عائشة أم
المؤمنين .

ويتحدث النبى كثيرا ويعلن عن محبته لأبى بكر فى مواقف كثيرة
ومختلفة حتى ليسال ذات يوم عن أحب الناس اليه فيقول (عائشة)
فيقولون انما نعنى من الرجال فيقول (أبوها) .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - يوما : (ما لاحد عندنا يد
الا وفد كافناه فيها ما خلا أبى بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها
يوم القيامة) .

ثم يأمر النبى وهو على فراش المرض أن يؤم المصالحين أبو بكر .
ويرفض النبى - عليه الصلاة والسلام - أى معارضة فى هذا من
عائشة ومن غيرها ولو كان ذلك باسم الخوف على أبى بكر ، لأنه
ضعيف القلب قد يفلبه التائر فيبكى ولا يسمعه المصلون) .

وينتفل الرسول ..

وتخرج الفتنة من الجحور .

وتبدأ يوم السقيفة وصراع حول من يتولى أمر المسلمين لتتخذ
قليلًا بعد تدخل الحكماء والمخلصين بتولى أبى بكر الخلافة ومن اللحظة
الأولى يحدد منهاج سياسته فيقسم أن لا يفعل شيئًا لم يفعله رسول
الله ، ثم يبدأ خطابه فيقول :

(أيها الناس . أنى وليت عليكم ولست بخيركم . أن أحسنتم
فأعينونى وان أسأت فقومونى .. الصدق أمانة ، والكذب خيانة) .

والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريخ عليه. حقه ان شاء الله .
والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله .
لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع
الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء . اطيعونى ما اطعت الله ورسوله .
فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم) .

وليس هذا فحسب ، بل كان على أبى بكر ان يوضح امرا هاما
ويعمل على ترسيخه فى عقول المسلمين ، ذلك أنه ليس بسلطان
ولا ملك وانما هو حاكم للمسلمين فى حدود كتاب الله وسنة رسوله
فقط . ومن أجل هذا يثور يوما حين يقول له واحد من المسلمين :
يا خليفة الله . . ويرد عليه لا تقلها ولا تقولوها . بل قل يا خليفة
رسول الله .

ومن اليوم الاول بدأت الصعاب وبدأ معها الخليفة يعطى للتاريخ
صورة واضحة للإيمان المخلص والحاكم الذى لا يناقض ضميره أو
يتلون مع الأيام بدأ أولا يرتب ظروف حياته ومعيشة أولاده قبل أن
تشغله الأحداث . فبدأ ينظم وقتا يذهب فيه الى السوق متاجرا
الى أن يراه عمر بن الخطاب يوما فيسأله الى أين فيقول الى السوق .
قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين فيقول . فمن أين اطعم
عيالى فيذهب معه عمر الى عبيدة بن أبى الجراح أمين بيت المال
ليفرض له قوته وقوت عياله كواحد من المسلمين ليتفرغ لمهام
منصبه .

وكانت أول الصعاب التى تقابل أبابكر بعث أسامة بن زيد الذى
أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليقا تل الروم وتأخر
المسير لوفاة النبى . فقد رأى بعض المسلمين تأجيل هذه الحملة
بدعوى أن المجتمع الإسلامى يهوج بالتمرد . وأن هناك شائعات
حول ردة كثير من المسلمين الأمر الذى يؤثر فى عمر نفسه فيذهب
مع عمر نفر من المسلمين ليجادلوا أبابكر فى أمر بعث أسامة فيكون
ود الخليفة (ليتم بعث أسامة) . . (والذى نفس أبى بكر بيده لو

ظننت أن السباع تتخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — ولو لم يبق في القرى غيرى لأنفذته .

ويحاول المتمردون مرة أخرى مع أبي بكر في تنجى أسامة
الشباب المسلم عن قيادة الجيش ، اذ فيه من هم أسن منه وأسبق في
الإسلام وأخبر بالقتال فيرفض في شدة وعنف ويقول (والله لا أحل
عقده عقدها رسول الله ..) .

ويودع أبو بكر الجيش راجلاً وأسامة راكباً ويرفض أى وضع
غير ذلك (فما يضيرنى أن أغبر قدمى ساعة في سبيل الله ..) ثم
يستأذن الخليفة القائد أسامة في استبقاء عمر فيوافقه .

وينتصر أبو بكر . وينتصر معه الحق اذ يعود الجيش منتصراً
فيظهر للعالم الخارجى أن المسلمين في منعة وقوة وأنهم كما تركهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخطر آخر يجده أبو بكر أمامه .. فقد ظن ضعاف الإسلام
والتربصين بدين الله أن المدينة قد خلت من جيش المسلمين وأنهم
بإمكانهم أن يغيروا من أمر الله فرفضوا دفع الزكاة . وقالوا انها
نوع من الأتاوات وأصر أبو بكر على دفع الزكاة . وتدخل بعض
الصحابة يطلبون من أبى بكر أن يأخذ الناس بالرفق وأن يهادنهم
حتى يعود الايمان الى قلوبهم فيعودوا الى دفع الزكاة فكان رد أبى
بكر : الاستعداد للقتال (فو الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
فإن الزكاة حق المال) .

وتبدأ الحروب العنيفة فعلا ضد مانعى الزكاة . وضد المرتدين
على السواء وتشهد الجزيرة العربية قتالاً عنيفاً يصول فيه الصحابة
وحملة الكتاب ويتم النصر لهم ويعود المجتمع الإسلامى الى وحدته
والى أصالته والى اتباع كل ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى
يقول البصرى (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً
يقيل رأس رجل ويقول له اننا فداؤك فلولاك أنت لهلكنا فقلت من

المقبل ومن المقبل قالوا عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال اهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى اتوا بها صاغرين .

وانتهى العام الأول من عهد خليفة رسول الله وقد عادت الأمور الى ما كانت عليه أيام الرسول فى عام واحد فقط . عاد المجتمع الاسلامى الى وحدته وقوته ولينطلق المسلمون فى رحاب الأرض يرفعون راية لا اله الا الله محمد رسول الله . وينشرون السلام والعدل والحق ..
ينشرون الاسلام .

وتخرج من المدينة أول الجيوش التى تدق ابواب فارس .. وتخرج منها أيضا قوات تنزل حكم الروم فى الشام .. وتبدأ الفتوحات الاسلامية وتظهر فى الوقت نفسه عبقریات المدرسة المحمدية فى القتال وضد عتاة الحرب وصانعيها ومن هذا وصايا أبى بكر الى جيوشه المقاتلة فيقول فى وصية لاهد قواده :

(واذا قدم عليك رسل عدوك فاكرمهم . وأقلل لبنهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جباهلون به ولا تريضهم فيروا خلقك ويعلموا علمك . وأنزلهم فى ثروة عسكرك . وامنع من قبلك عن محادثتهم . وكن انت المتولى لكلامهم . ولا تجعل شرك كعلايتك فيختلط أمرك) .

وبمثل هذه النصائح وبايمان القلة فى العدد استطاع المسلمون - وفى أيام أبى بكر وقبل أن يمضى خمسة عشر شهرا - أن يدقوا ابواب فارس وأن يتخذوا الجدة أول عاصمة اسلامية فى العراق يذكر فيها اسم الله وتقام فيها الصلاة ويطبق فيها شريعة الله .

وأما عن الشام فكانت أولى منافذ النصر موقعة اليرموك فى عهد أبى بكر وانتصار المسلمين العظيم فيها الذى هز الروم والعالم من ورائها وكانت بداية زحف المسلمين فى أرجاء الأرض من بعد أبى بكر - رضى الله عنه - .

ومع هذا كله فلم يشغل أبو بكر عن تنظيم العدل واحقاق السلام وتوفير الضمانات الاجتماعية التي ضمنها الدين . فولى أمين الأمة على بيت مال المسلمين وكانت الأموال تتدفق عليه من كل مكان حتى خشي بعض المسلمين على بيت المال فيسألوا أبا بكر (ألا تجعل على بيت المال من يحرسه) فقال لا . . لأنه كان يعلم أى مجتمع يعيشه ويعرف أن خزائن البيت تفرغ في سبيل الله ولخلق الله أولا بأول ، ولأنه كان يعرف أن عمرا حينما ولاه على قضاء المدينة لم يجد طوال عام كامل قضية يفصل فيها .

ولم يميز أبو بكر واحدا من المسلمين على آخر حتى الذين سبقوا بالجهاد ، فقد كان لبعض الصحابة رأى في أن يأخذوا نصيبا أكبر وكان رأى الخليفة : (انما اسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيههم ذلك في الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ) . . . (أن هذا المال معاش والاسوة فيه خير من الأثرة) وأمر بالمساواة .

وكان والى اليتامى حتى قبل أن يكون خليفة فلم يتغير ، بل ظل يبحث عنهم ويعاونهم في حياتهم حتى أنه كان يطهو لهم الطعام ويحلب لهم الشاة ويروى لنا التاريخ أنه كان يحلب الشاة لواحدة من بنات المسلمين الشهداء وعندما تولى الخلافة استمر على عادته وذهب ليحلب الشاة ويداعب الطفلة فجاء صوت أمها من وراء الخباء تسأل الطفلة ممن يكون معها فقالت : (حالب الشاة يا أماه) فأبصرت المرأة فرأت أبا بكر فقالت لابنتها (ويحك ألا تقولين خليفة رسول الله) .

وكان - رضى الله عنه - يسأل المسلمين عن أخبار ولاتهم . . كان يسأل كل من يلقاه في مواسم الحج وغيره (هل من أحد يشتكى ظلاما) .

وكان ينهى ولاته عن التجسس حتى لا يفضح أمرا ولا يكشف عن أسرار المسلمين .

وكان يرفض أن يحكم بما يعلم فقط ويأمر القضاة بأن لا يدينوا
إنسانا لمعلومات خاصة عندهم (لو رايت زجلا على حد من حدود
الله لم أخذه حتى يكون معي مشاهد غيري) .

وقد خاف على المسلمين الأول من الفتنة وأن تجتذبهم الدنيا
فيستغلوا بتحقيق ثروات طائلة لا تتفق مع المجتمع الاسلامي ،
ويفتنون الناس بصحبته لرسول الله ، فامسك بهم عنده حتى
سئل ذات يوم لم لا يولى أهل بدر المناصب فقال (أكره أن أدنسهم
بالدنيا) .

وفوق هذا كان يجلس للناس يعلمهم أمور دينهم وقرأ يوما
قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا اهتديتم) وقال ان الناس يضعون هذه الآية في غير موضعها
الا واني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

(ان القوم اذا راوا الظالم ولم يأخذوا على يديه والمنكر
ولا يغيروه معهم الله يعقابه) .

ومن اجل ذلك كان أبو بكر أول من عمل على جمع القرآن وبدأ
الجمع فعلا في حياته وتم من بعده .

وأن للمهاجر ان يلقي ربه بعد خلافة لم تزد في عمر الزمن عن
عامين وثلاثة شهور ، حمى فيها الرسالة وادى الامانة ليوصي من
بعده بعمر بن الخطاب خليفة ويقول للمسلمين .

(اني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا
واني لم آل والله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا . فان عدل فذلك
ظنى به وعلمى فيه وان بدل فكل امرئ ما اكتسب من الاثم . والخير
أردت ولا أعلم الغيب . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

ويوصي ايضا وهو على فراش الموت ابنته عائشة ان تحمل تركته
الى بيت مال المسلمين عقب وفاته فورا ، فهى حق لهم وهى من

أموالهم وليس لاحد حق فيها فغيرهم وتقدم عائشة التركة الى عمر
بعد وفاة أبيها فاذا بها (بعير كان يستقى عليه الماء . ومحلب كان
يحلب فيه اللبن وعباءة كان يستقبل فيها الوفود) .

ثم يغمض أبو بكر عينيه والى الابد ليقف على بن ابي طالب -
رضى الله عنه - ينعيه بدموعه ويقول :

(رحمك الله يا ابا بكر . كنت والله أول القوم اسلاما . واخلصهم
إيماننا . واشهدهم يقينا واعظمهم غنى . واحفظهم على رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - واحد بهم على الاسلام . . واحناهم على
أهله . وانسبهم برسول الله خلقا وفضلا . وهديا وسمتا ، فجزأك الله
من الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا . صدقت رسول الله
حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا .
وسماك الله في كتابه صديقا فقال : (والذي جاء بالصدق وصدق به)
يريد محمدا ويريدك .

كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكبا . لم تضل حجتك .
ولم تضعف بصيرتك . ولم تجبن نفسك كالجبل ولا تحركه
العواصف ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ضعيفا في بدنك قويا في دينك . متواضعا في نفسك
عظيما عند الله . جليلا في الارض كبيرا عند المؤمنين . لم يكن لاحد
عندك مطمع أو هوى . فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف
حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف . فلا حرما الله أجرك
ولا أضلنا بعدك .

عمر ابن الخطاب

يرفع عمر بن الخطاب اثناء ولايته - لواء حرية الكلمة ، يسمع الناس عن شدته وصراعته فيخلو الى نفسه حزينا ويدخل عليه حذيفة فيجده مهوم النفس باكى العين فيسأله الأمر فيقول : انى أخاف ان اخطى فلا يردنى احد منكم تعظيما لى . فيقول حذيفة ((والله لو رايناك خرجت عن الحق ارددناك)) فيفرح عمر .

وأيضا ليست هذه قصة حياة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب . . وانما لحظات معه . . تبدأ من ايام توليه خلافة المسلمين . . ولا تنتهى بموته رضى الله عنه . .

ويقف عمر بن الخطاب اول ساعات عهده بالامارة ليخطب المسلمين فى المسجد قائلا : بلغنى أن الناس هابوا شديتى ، وخافوا غلظتى ، - وقالوا قد كان عمر يشتد ورسول الله بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا . . الا من قال هذا فقد صدق ، فانى كنت مع رسول الله عونه وخادمه . . وكان - عليه الصلاة والسلام - لا يبلغ احد صفته من اللين والرحمة وكان كما قال الله تعالى : « بالمؤمنين رءوف رحيم » فكانت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى . فلم ازل مع رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - على ذلك حتى توفاه الله وهو غنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد .

ثم ولى امر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا تنكرون دعتهم وكرمه وليته فكانت خادمه وعونه أخلط شدتي بليته فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني فأمضى .. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله - عز وجل - وهو غنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد .

ثم انى قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن الشدة قد ضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم أقوى .. فأما أهل السلامة والدين والقصد فانا ألين لهم من بعضهم لبعض ولست أدع احداً يظلم احداً أو يعتدى عليه حتى أضع خذه على الأرض حتى يلعن للحق وانى بعد شدتي تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف ..

ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها ..

لكم على ألا أجتبى شيئاً من خراجكم وما آفاه الله عليكم الا من وجهه ، ولكم على اذا وقع فى يدى ألا يخرج الا فى حقه ، ولكم على أن أزيد عطائكم وأرزاقكم ان شاء الله تعالى وأسد نفوركم .

ولكن على ألا أبعثكم فى المهالك واذا غبتم فى البعوث فانا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم .

فاتقوا الله وأعينوني على نفسى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولبت من أمركم .

وبدا ابن الخطاب عمله ..

كان عليه أن يجعل من نفسه نموذجاً فأخذها بالشدة .. حتى كان أقل واحد من المسلمين يغيش أفضل من معيشة أمير المؤمنين .. ووضع لنفسه خطاً (بش) الوالى أنا ان طعمت طيبها وتركتم للناس

عظامها) . . ومع الكفاف الذي كان يعيشه كان ينظر اليه على أساس أنه شيء كبير جدا لم يحفظ به زملاؤه في الجهاد . . والذين سبقوه بالنسهادة في سبيل الله . . وكان يقول كلما رأى شيئا أنعم الله به عليه ، كل هذا لنا وقد مات أخواننا فقراء لا بشبعون من خير السمير » .

ولم يكتف بنفسه ، بل امتد تمسكه بالكفاف الى اهله وذويه . فكان يصير على أن يكون في آخر قوائم المسلمين . . وكان يراقب اعمالهم ويأخذهم بالشدة لكيلا يقول الناس (لانهم اقارب أمير المؤمنين) حتى ابنه عبد الله يدخل عليه ذات يوم وقد اشتد الكرب بالناس فيجده يتناول طعامه وفيه شرائح من لحم فيغضب ويقول له الانك ابن أمير المؤمنين ناكل لحما والناس في خصاصة الا خبزاً وملحاً » .

ويذهب ذات يوم الى السوق فيرى ابلا سمينا تمتاز عن بقية الابل نامتائها فيسأل من هذه الابل فيقولون (لعبد الله بن عمر . . فيهمز ويقول عبد الله بن عمر . . بخ . . بخ يا ابن أمير المؤمنين) ويرسل في استدعائه على عجل ويسأله عن هذه الابل فيقول « انها ابل مزيلة اشتريتها بمالي وبعثت بها الى المرحى لاتاجر فيها فيقول له . . الخليفة - الاب - متمما حديثه في سخريه لاذمة ، ويقول الناس حين يرونها ارفعوا ابل ابن أمير المؤمنين . . اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين . . وهكذا نسمي ابلك ويزيد ربحك يا ابن أمير المؤمنين » ويقطع كلامه ليصدر امرا : « يا عبد الله خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الابل واجعل الربح في بيت مال المسلمين .

وبهذا الاسلوب كان يختار اعوانه ، ولاة الاقاليم يريد لهم صورة رائعة . . وبموجزا اسلاميا فريدا . . كان يضع امام عينه قاعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم - « أنا لا اتولى هذا الامر احدا يسأله أو يحرص عليه » . ويسأل أصحابه أن يدلوه على الرجل المناسب ليضعه في مكانه المناسب على رأس إحدى الامارات ويحيث

يكون كما يريد « أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم بدا كأنه أميرهم ، واذا كان فيهم وهو أميرهم بدا كأنه واحد منهم » . فاذا تحقق له ما يريد قرر تعيينه بعد الاختيار وقبل ان يرسل به الى الأنصار كان يوصيه فيقول (انى لم استعملك على دماء المسلمين ولا على اعراضهم ولكنى استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم وتحكم فيهم العدل) ثم يملى عليه نواهى يجب عليه تجنبها .

« الا تتركب دابة مطهمة ، ولا تلبس ثوبا رقيقا ، ولا تأكل طعاما رافعا ولا نفلق بابك دون حوائج الناس » ..

ولا تنتهى مسئولية عمر بن الخطاب عند هذا الحد بشئان اختيار الحكام .. بل يتابع نشاطه وسلوكه .. ذات يوم يسأل عمر أصحابه « أرايتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أبرىء ذلك ذمنى ، فيقول له أصحابه نعم .. فيرد عليهم : كلا حتى أنظر فى عمله وعمل بما أمرته أم لا ؟ » ثم يقول مرة أخرى « ايما عامل لى ظلم احدا ويلفتني مظلمته فلم أمزها فأنا الذى ظلمته » .. وبعد هذا يعلم الناس أنهم رقباء على نصرقات الحكام فان الحكام فى خدمة المسلمين .

وفى احدى مواسم الحج جمع ولاته وعماله مع الحجاج ووقف خعليبا يقول للحجاج : « ايها الناس والله لأبعث عمالى اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى هذا فليرفعه الى . والذى نفسى بيده لامكنه من القصاص » .. من أجل هذا كان عمر يسأل الوفود حين تلقاه عن ولاتهم وماذا يفعلون ، وما سيرتهم فيهم .. ويباقب من يخطئ منهم لا تشفع له عنده أى سابقة جهاد أو صحة .. وكان من بين هؤلاء أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص وغيرهما .

ويحدثنا التاريخ أن وفد حمص التقى بعمر ذات يوم فسألهم عن اليهم عبد الله بن قرط فيقولون خير أمير يا أمير المؤمنين لولا أنه بسى نفسه دارا فارهة ، فبهت عمر ويستدعى رسولا يأمره بالسفر

فورا الى حمص ليأتيه بعبد الله بعد أن يحرق له باب داره . . ويأتي عبد الله الى المدينة ، ويطلب لقاء الخليفة ثلاثة أيام من غير أن يأذن له حتى كان اليوم الرابع فيضرب له موعدا في مكان يقال له (الحرة) حيث تعيش أبل الصدقة وأغنامها . . ثم يأمره بخلع ثيابه واستبدالها بلباس الرعاة ويقول له : « هذا خير مما كان يلبس أبوك » ويناوله عصا ليهش على الغنم ويقول « وهذه خير من العصا التي كان أبوك يهش بها على غنمه » ، ويأمره « أن اتبع الأبل وأرعاها يا عبد الله » وبعد أيام يستدعى عمر عبد الله . . ويطلب منه العودة الى عمله على ألا يعود الى الاستعلاء أو التمييز عن عامة المسلمين « فما أرسلتك لتشيد وتبنى » .

وهكذا استمرت حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اسطورة في التاريخ كله . . بدا بنفسه واختيار وكلائه ، وبعد هذا عكف على ثروات المسلمين يحافظ عليها ، وعلى أموال الصدقات يرعاها بنفسه ويدعو الى ذلك أصحابه . . يروي لنا التاريخ أيضا في هذا المجال إحدى الروائع ، فيقال أنه في يوم صيف شديد الحرارة ، وبينما عثمان بن عفان يقف داخل أحد بيوت له رجل يسوق أمامه بعيرين صغيرين والهواء الساخن يكاد يشويه فيطلب من أحد عماله أن يرقب هذا الرجل من الباب فإذا ما احتاج الى معونة أعانه وإذا بالرجل يقترب . . وإذا بالعامل يصرخ أنه أمير المؤمنين . . فنادى عثمان عمر من الباب وسأله عن الذي أخرجه في هذه الساعة فقال له « بكران من أبل الصدقة تخلفا عن المرعى فخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما ، فيدعوه عثمان الى الظل على أن يرسل أحد عماله ليتولى هذا عنه فيقول له « بل عد أنت الى ظلك يا عثمان » .

ورواية أخرى . .

ذات يوم جاء وفد من العراق ليزوره وكان معهم الاحنف بن قيس فإذا بهم يفاخئون به والحر شديد جدا . . والوقت منتصف النهار وكان منهمكا في تطيب بعير من أبل الصدقة وما كان يرى

ضيوفه وفيهم الأحنف حتى ناداه : ضع ثيابك يا أحنف وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من ابل الصدقة وفيه حق للأرملة والمسكين واليتيم . فيقول رجل من الوفد أدهشته المفاجأة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين أن عبدا من عبيد الصدقة يعفك هذا . . « فيقول عمر » وأى عبد أعبد منى ومن الأحنف . . ثم يستأنف عمله » .

وهكذا عاش عمر معايش في المدينة يرسى قواعد الحق والعدل الاسلامى . . ويحسن توزيع المال ، ويجعل الأرض من مال المسلمين ويفرض للوليد وللعايز ويدفع المسلمين على الكسب . . ويحسن توزيع الثروات ويمنع فشو الثروات ويقول : « أنى حريص على الا ادع حاجة الا سدتها ما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجزنا نأسينا فى عيشتنا حتى نستوى فى الكفاف » . . ويحدد سياسته فى المال . فيقول « الا وانى ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث أن يؤخذ من حق ويعطى فى حق ويمنح من باطل . . الا وانما أنا فى مالكم هذا اكوالى اليتيم ان استغنيت استعفت ، وأن افتقرت اكلت بالمعروف » ويرفع - رضى الله عنه - لواء حرية الكلمة يسمع همس الناس عن شدته وصراحته فيخلو الى نفسه حزينا ويدخل عليه حذيفة فيجده مهموم النفس باكى العين ، فيسأله الامر فيقول انى احاف أن اخطيء فلا يردنى احد منكم تعظيما لى .

فيقول حذيفة « والله لورايناك خرجت عن الحق لرددناك اله » فيفرح عمر ويقول « الحمد لله الذى جعل لى اصحابا يقومونى اذا أعوججت » .

ويدخل عليه ذات يوم رجل غاضب نائر وفى يده شعر مخلوق ويخترق مجلس عمر حتى اذا ما وصله يقذف بالشعر فى صدره فيغضب الناس من حول عمر ويهمون بالرجل فيمنعهم عمر . . ويطلب من الرجل أن يجلس ويهدىء من روعه أولا ثم يحدثه عن الامر . . وبعد مدة يقول الرجل قصته وهى ان ابا موسى الأشعرى

انزال به عقوبة لا يستحقها فجلده وحلق رأسه . فلم يجد أمامه
غير عمر . . وعندئذ ينظر عمر الى أصحابه ويقول : لأن يكون الناس
كلهم في قوة هذا أحب الى من جميع ما أفاء الله علينا » .

ويصعد عمر المنبر يوما فيقول :

« يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي الى الدنيا
هكذا » . . .

فيشق الصفوف رجل يابح بذراعه ويقول (اذن تقومك بالسيف
هكذا) . . فيسأله عمر (أياي تعنى بقولك) فيجيب الرجل نعم . .
إياك أعنى بقولى . . فيفرح عمر ويقول (رحمك الله والحمد لله الذى
جعل فيكم من يقوم عوجى) .

وهكذا سارت أيام الخليفة الثانى لترسى قواعد تهمد المفكرين
وأصحاب الدعوات من بعده الى أن تقوم الساعة .

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ينتظرون شهداء معركة أحد.. فيأخذوهم ليواروهم التراب ووقعت عينها الرسول وصحبه على جثمان حمزة بن عبد المطلب وقد فعلت به الأفاعيل .. وامتلأت عينها الرسول بالدمع .. وقال كمن يتأجى عمه : لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موففا قط أغيبك الى من موفى هذا ؟

حمزة ابن عبد المطلب

عاش حياته نائرا على الظلم .. وعلى الفقر .. وعلى الأوضاع التي كانت عيناه تفع عليها .. ولكنه لم يكن يعرف ماذا يفعل . ومن أجل هذا كان يفرق نفسه في النسيان بشرب الخمر . ويسير مع الخلان .. وينطلق الى الصيد .. بعد أن تغلب على ظروف حياته القاسية التي جعلته يصل الى خافة الاملاق .. وارتفع فوقها وصار له من القوة والجاه ما يجعل عظماء قريش وكبار القوم كلما شاهدوه وقفوا له .. اجلالا واحتراما . واستمسكوا به في معركتهم ضد محمد عليه الصلاة والسلام .. فقد كان القوم يعرفون حب حمزة لابن أخيه .. وهما رفيقا عمر . وزميلا حياة .. نشأ معا ليس بينهما فارق غير عامين فقط ومهما اختلف الرواة في هذا الفارق ، الا أنهم أجمعوا على المودة العميقة والحب الكبير الذي كان حمزة يحس بهما نحو ابن أخيه .. ولهذا

السبب كان حمزة نفسه يهرب من هذا الحب .. كى لا يخرج عن دين آبائه الى دين محمد ..

الى ان كان ذات يوم .. لقي فيه النبى صلوات الله وسلامه عليه من ابو جهل الكثير .. فقد اعترضه وآذاه وشتمه ونال منه ما يكره وسبه في دينه ونفسه ولم يكلمه رسول الله أو يرد عليه .. ولكن القوم من حولهما رأوا وسمعوا .. وكان بين القوم خادم لعبد الله بن جدعان ، تأثرت لما حدث ووقفت تبحت عن حمزة .. ولكنها علمت أنه ذهب للصيد من أول النهار ولم يعد .. فظلت تنتظره بالقرب من الكعبة لأنها تعلم عادة حمزة في انه يطوف بالكعبة كلما عاد من الصيد قبل أن يذهب الى بيته .. وكانت هذه الخادمة التى دخل الى قلبها حب النبى تصر على أن ترى حمزة قبل أن يعود الى بيته .. وأن تطلعه على ما حدث لابن أخيه من اهانات وتثير فيه حبه لابن أخيه ، وبالتالي تستغل هذه الطاقة الثورية في الدفاع عن دعوة الاسلام .. ورسالة النبى عليه الصلاة والسلام ..

وجاء حمزة ..

وطاف بالكعبة ..

وتلقته خادم عبد الله بن جدعان .. وأوقفته الى جوار الكعبة وقالت له : « يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من ابى الحكم بن هشام .. وجدته هنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره .. وابن أخيك لا يرد عليه » .. وأخذت تقول كل ما حدث تفصيلا .. وحمزة يرتفع الدم الى رأسه مع كل كلمة يسمعهها حتى يقطع الحديث .. ويمتشق قوسه ويعود مسرع الخطأ بحشا عن ابى جهل .. فلقى به بعض القرى فهوى بقوسه على رأسه فانبثق منها الدم حتى خضب الأرض ولطخت ثوبه وثياب من حوله وصرخ فيه ..

« أتستسم محمداً وأنا على دينه أقول ما يقول ، ألا فرد على ذلك
ان استطعت » .

.. ولم يرد أبو جهل .. ولم يتحرك واحد من القوم ، ففسد
أذهلتهم مفاجأة اسلام حمزة .. وخشوا بعطشه وقوته .. ولكنهم
بدأوا يستجلون الخبر .. خبر اسلام حمزة الذي لم يعرفون من
قبل اذ قالوا : « ما نراك يا حمزة الا قد صبأت » .

**فقال حمزة : ما يمنعني وقد استبان لى منه ذلك .. أنا أشهد
انه رسول الله وان الذى يقوله الحق ، فوالله لا أنزع فامنعونى ان
كنتم صادقين » .**

فصمت الحاضرون ..

وانصرف حمزة يفكر فيما حدث كله .. انه لم يلق محمداً ..
ولم يعلن اسلامه .. فكيف قال ما قال .. ولم يمكث فى داره
الا قليلا ليعود متجولا يعاتب نفسه كيف أعلن اسلامه ولا يزال فى
قلبه حنين الى دين آبائه .. ويحدثنا حمزة عن هذا الموقف كله
فيقول : « ثم أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى .. وبت
من الشك فى امر عظيم لا أكتحل بنوم .. ثم أتيت الكعبة وتضرعت
الى الله أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب ، فاستجاب
الله لى وملاً قلبى يقيناً .. فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبرته بما كان من أمرى فدعا الله أن يشبث قلبى على
دينه .. » .

ومن يومها وحمزة يقف لقريش وكل الكافرين موقف المناضل
المتحدى .. يدافع عن دينه ويدود عن المسلمين .. فاهتز لذلك
لخصوم النبى .. وحاولوا أن يشنوا حمزة وأن يعيدوه الى صفوفهم ،
ولكنه كان قد وجد نفسه .. باسلامه .. ومارس ثورته فى اعلاء
كلمة الله بقربه من رفيق عمره ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ..

ودخل حمزة في معارك استعمل فيها كل الأسلحة في اعلان دين الله .. وضرب .. وضرب .. وجادل وناقش .. وكان في كل المواقف ينتصر لدينه فان لم تصلح الكلمة استعمل اليد .. ولهذا أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمزة أسد الله وأسد رسوله » .

وهاجر مع المهاجرين الى المدينة .

وفي اول سرية في الاسلام وكانت الى سيف البحر من ارض جهينة ، كان قائدها حمزة سيف الله وسيف رسوله .

واول راية عقدت لواحد من المسلمين عقدها رسول الله كانت لحمزة ..

ولم يشترك المسلمون في قتال الا كان حمزة في مقدمة الصفوف يقاتل في شجاعة وايمان ودائما يذود عن رسول الله .. ينبع بعينه وقلبه وهو في وسط المعارك وبين دماء القتلى .. وصرعى ضرباته ..

وجاء يوم بدر ..

وظهر حمزة في ساحة القتال .. ولامر يريده الله اختار حمزة كبار القوم لقتالهم .. كان يدعوهم بالاسم ويصفهم بصفات نشير فيهم الحمية . فيخرجون من وراء الصفوف ليقاتلهم .. فيصرعهم ويروى الارض بدمائهم ويصرخ بأن الله اراح المسلمين من فلان ويتبعه بآخر .. اما الذين لم يخرجوا له من المشركين فقد كان حمزة ينتقى منهم كبار رجال قريش وأعوانها ليقاتلهم ويقتلهم « وفعل بهم الأفاعيل » وعادت قريش بعد انتهاء المعركة تجسر اذبال الهزيمة وتفكر في يوم العودة للأخذ بالثأر .. وكان في رأس كل واحد من الزعماء .. شخص واحد يجب أن يقتل أولا ، وهو حمزة بن عبد المطلب .. وبدأ كل واحد منهم يفكر في طريقة للتخلص منه .. ايا كانت هذه الطريقة . وكان في مقدمة هؤلاء

جميعا هند بنت عتبة أم معاوية وزوجة أبى سفيان .. فقد خلفت وراءها أباه وعمها وأخاها وابنها قتلهم جميعا حمزة .. ولذا أقسمت أن لا تبكى واحدا منهم حتى تأخذ الثأر من حمزة .. وتمثل به .. وبدأ كل فريق يستعد للقاء .

ولم يكن يجول بخاطر حمزة وهو يستعد ليوم أحد أن هناك مؤامرة قد دبرت لقتله .. ولم يصل المسلمون أي خبر عن هذه والا لاحتطوا ..

وجاء يوم أحد ..

وكانت هند وأبو سفيان معها قد أعذا عبدا حبشيا لهما يقال له وحشى اشتهر بالرماية والسهاد ، ووعدته هند بحريته وبفلاندها الذهبية وكل مصاعها ان قتل لها حمزة .. وحدد وحشى موقعه من المعركة .. بحيث لا تقيب عن عينه حمزة .. ولم يشترك في المعركة ، وانما كان يبحث عن أسد الله وأسد رسوله ليقتله .. وهذا هو عمله الوحيد .

والتقى الجمعان ..

وقامت في تاريخ الاسلام أحد معاركه الغنية ..

وتوسط حمزة ساحة القتال مزهوا .. يقاتل بسيفين .. لا يقابله واحد الا قتله .. حتى بلغ عدد قتلاه يومها واحد وثلاثين قتيلا من خصوم الاسلام الالء .

وأوشكت المعركة على الانتهاء .. وبان النصر واضحا للمسلمين .. فابتدأ ميزان القوى يختل .. ومرت فترة مريبة .. انتهت بانكشاف عسكر المسلمين .. وجحافل من قریش تهاجم المسلمين .. وهنسا .. ومرة أخرى .. يظهر حمزة .. كأنه يقااتل الموت نفسه .. وعين وحشى وغيره ترقبه تنتظر لحظة تجهز عليه .. حتى حانت الفرصة ..

وَيَصِفُ وَحْشِي هَذَا الْمَوْقِفَ فَيَقُولُ : « فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ
لَهُوَجَتْ أَنْظَرُ حِمْزَةً وَأَتَبَصَّرَهُ حَتَّى رَأَيْتَهُ فِي عَرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ
الْأَوْرَقِ يَهْدِي النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَذَا ، مَا يَقِفُ أَمَامَهُ شَيْءٌ .. فَوَاللَّهِ أَنِّي
لَأَنْهِيَ لَهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُو مِنِّي إِذَا تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ
سَبَاعُ بْنُ الْعَزَى فَلَمَّا رَأَاهُ حِمْزَةً صَبَّاحَ بِهِ هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةٍ
الْيَطْلُورِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً ، فَمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ وَعِنْدَئِلَ هَزَزَتْ حَرْبِي
حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا نَحْوَهُ فَوَقَعَتْ فِي ثَنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ
مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ وَنَهَضَ نَحْوِي فَغَلَبَ عَلَيَّ أَمْرُهُ ثُمَّ وَابَتْهُ فَأَخَذَتْ
حَرْبَتِي ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى الْمَعْسَكِ فَقَعَدَتْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِهِ
حَاجَةٌ فَقَدْ قَتَلْتَهُ لَأَعْتَقُ .. » ،

وَكَانَتْ هُنْدٌ تَنْتَظِرُ هَذِهِ اللَّحْظَةَ وَمِنْ حَوْلِهَا كِبَارُ الْمُشْرِكِينَ ،
وَمَا كَادَتْ تَرَى وَحْشِيًّا وَيَخْبِرُهَا بِمَا فَعَلَ مُؤَكِّدًا لَهَا مَا سَمِعَتْ بِهِ
مِنْ قَبْلِ وَصُولِهِ حَتَّى فَرَحَتْ فَرَحًا كَبِيرًا .. وَأَمَرَتْ وَحْشِيًّا أَنْ
يَعُودَ فَيَأْتِيَهَا بِكَبِدِ حِمْزَةٍ يَنْبِضُ بِالْحَرَارَةِ قَبْلَ أَنْ يَبْرُدَ .. وَأَطَاعَهَا
وَحْشِيٌّ وَحَقَّقَ لَهَا رَغْبَتَهَا وَعَادَ إِلَيْهَا بِكَبِدِ حِمْزَةٍ وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْهَا
.. فَأَخَذَتْهَا تَرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا .. وَوَضَعَتْهَا فِي فَمِهَا فَاسْتَمَعَتْ عَلَيْهَا
فَأَمَرَتْ جَوَارِيَهَا وَصَاحِبَاتَهَا بِالْفَنَاءِ .. وَقَطَعْنَ كَبِدَ حِمْزَةٍ ..
وَعَمَلْنَ مِنْهُ « حَلْقَانٌ » ..

وَأَنْتَهَتْ مَوْقِعَةُ أَحْسَدٍ ..

وَاسْتَشْهَدَ سَيْفُ اللَّهِ .. وَثَأْنُ مِنَ الثَّوَارِ الْأَوَّلِ الَّذِينَ رَفَعُوا
لِوَاءَ رَايَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ .. وَدَافِعَ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ حَتَّى فَنَى ..

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يَنْظُرُونَ
الشَّهْدَاءَ .. فَيَاخُذُوهُمْ لِيُبَاوِرُوهُمْ التُّرَابَ .

وَوَقَعَتْ عَيْنَا الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ عَلَى جِثْمَانِ حِمْزَةٍ وَقَدْ فَعَلَتْ
بِهِ الْأَشَاعِيلُ .. وَامْتَلَأَتْ عَيْنَا الرَّسُولِ بِالدَّمِ وَقَالَ كَمَنْ يَنْجِي

عجه « لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا قط الخيف الى من
موقفى هذا » .

ونظر الى اصحابه وهم يواسونه بقلوبهم وعيونهم وقال « لولا
ان تحزن صغية ويكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون
النسباع وحواصل الطيور ولئن اظهرنى الله على قريش فى موطن من
المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم » .

واذا بالصحابه يتجاوبون مع الرسول العظيم فى حزنه وانته
لما رأى . . ويقسمون « والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر
لمثلن بهم مثله لم يمثلها احد من العرب » .

ولئن الله سبحانه وتعالى ينزل قرآنا على رسول الله يحدد له
طرق التعامل مع الناس اعداء واصدقاء . . وقبل ان ينتهى صحابة
الرسول من الحديث معه مجاملين معزين . . بقوله تعالى « ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين .
وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خسر
للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى
ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

ويقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته كلام الله . .
ويمسك الجميع دموعهم . . ويحملون بقايا جثمان حمزة الى حيث
يصلى عليه رسول الله مع كل شهيد من المسلمين حتى صلى عليه
سبعين مرة . .

وانتهت الصلاة . .

لينظر رسول الله الى عمه فى حب وحزن . . ويقول قبل ان
يوارى جثمانه « رحمة الله عليك فانك كنت ما علمت وصولا للرحم
فمولا للخيرات » .

لم يحب واحد من المسند
الأول القرآن الكريم كما أحب
عبد الله بن مسعود وتحول
شيء فيه صورة قرآنية عا
حتى قال النبي صلى الله عليه
وسلم « من أحب أن يقرأ القرآن
غصا كما أنزل فليقرأه على قر
ابن أم عبد » .

عبد الله
ابن مسعود

وكان عبد الله بن مسعود أول رجل يجهر بالقرآن
الكريم في مكة بعد رسول الله فيقول الزبير « كان أول
من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه » .

اذ اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقا
والله ما سمعت قریش هذا القرآن يجهر لها به قط - فمن ر-
يسمعوه ؟ فقال عبد الله ابن مسعود . أنا فقالوا أنا نخشعا
عليك . انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان ارادوه .

قال : دعوتى فان الله سيمنعنى فندا ابن مسعود حتى اذا
فى الضحى وقریش فى انديتها فقام عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحمن
الرحيم رافعا بها صوته . الرحمن . علم القرآن ثم استقبلا
يقروها فتأملوه قائلين ماذا يقول ابن أم هيد ؟ . انه يتلو بعد
ما جاء به محمد . فقاموا اليه وجعلوا يضربون وجهه وهو ماء
فى قراءته حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ .

ثم عاد الى أصحابه مصابا في وجهه وجسده فقالوا له . هذا الذي خشيناه عليك . فقال . ما كان أعسداء الله أهون على منهم الآن ولئن شئتم لاعادينهم بمثلها غدا .

.. قالوا له : حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون . وقصة اسلام عبد الله بن مسعود وحياته صورة رائعة للمسلمين الأول الذين صدقوا حب الله ورسوله ورفعوا لواء الحق فصاروا علما ومنارا عبر الأيام .. وعلى مر التاريخ ..

وقد جاء ابن مسعود الى مكة من هزيل بعد وفاة ابيه يبحث عن العمل والرزق فانهى به الأمر راعيا لغنم عقبة بن أبى معيط برغم معارضة اخوانه بنى زهرة الذين رأوا فيه شيئا مجهولا فظنوا انه سيكون له مع الأيام شأن كما يقول بعض الرواة .. فيسروا له سبل الحياة .. واغدقوا عليه النعم ولكنه يرفض هذا كله .. لانه يجب ان يعيش من كده وعمله .. ولانه لا يحب الكسل ولا يحب البذخ ولا من يعيش هذه الحياة كما يعبر عن ذلك فيما بعد من عمره .

ويعيش راعى الغنم مع الطبعة باحثا عن الحق والحقيقة .. وكان الله سبحانه وتعالى قد اختار له هذه المهنة .. لأن فيها قدرة .. ومستقبله .. ومصيره اذ يقول عبد الله بن مسعود انه كان ذات يوم يرعى غنما فاذا برجلين بقبالانه ويناملانه في صمت .. وينظر اليهما في رهبة وانبهار .. واذا بأحد الرجلين يساله « يا غلام هل عندك من لبن تسقيننا فانا ظمأء . فقال : انى مؤتمن ولن أسقيكما ولو كانت هذه الغنيمات لى لما بخلت عليكما بما ينقع الغلة فينظر أحد الرجلين الى صاحبه ثم يعود فيقول : فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل . قال . أما هذا فنعم وأتى بشاة فنعلقها الرجل ذو النظر المطمئن ثم يمسح على ضرعها ويدعو بكلام فاذا الضرع قد حفل . واذا بصاحبه يأتيه بصخرة مقعرة فاحتلب فيها فشربا ثم شربت ثم قال للضرع أفلص فقلص ..

وعرف ابن مسعود في الرجلين محمد بن عبد الله وأبا بكر صاحبه وينصرف رسول الله وصاحبه ليقى عبد الله في ذهول ان حلاوة اللبن الذي ذاقه تتضاءل أمام حلاوة الكلام الذي سمعه وحينما يفيق من ذهوله يبحث عن النبي وأبى بكر فلا يجدهما فيضيق بنفسه .. اذ كيف تركهما ينصرفان من غير أن يعرف وجهتهما ولا كيف يلقاهما .. فيعود الى مكة مسرعا ويسلم أغنامه ويبحث عن عقبة بن أبى معيط حتى يراه بين أبنائه وكثير من أقاربه فيعلنه في اصرار ووضوح « يا ابن الوليد أغد مع غنيماتك فإني من رفيقك وأحلافك فإني عن رعيها راغب منذ اليوم » . ويتركه وينصرف باحثا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يجده بعد يومين طويلين .. فيتعلق به .. ويسأله ان يعلمه من الكلام الذي سمعه منه .. فيخبره عليه السلام بدعوته فيدخل فيها ويسلم .. ويقول له الرسول من اللحظة الاولى « انك غلام معلم » ويصبح سادس المسلمين .

ومن يومها وعبد الله لا يفارق النبي حتى ظن كل من رآه انه واحد من أهل بيت النبوة .. ولا يقف دوره عند حد مصاحبة النبي وتعلم الدين منه .. بل انه ليعلن كلمات الله وآياته في مجامع القوم فتارة يلحقونه .. وتارة أخرى يذهب بعيدا عنهم مسرعا قبل أن يلقى من ايذائهم شيئا ..

كان ابن مسعود يقرأ القرآن بصوته العذب فيجذب اليه كثيرا من العامة .. وبعض الخاصة من سكان قريش .. فيلقى في قلوبهم الظلمة .. بصيصا من نور الحق واستمر على هذا حتى ضاق به أبو جهل زعيم الكفار وأراد أن يلحق به الأذى وينهى به حياة واحد من الدعاة الى دين الله . وبتلاوة القرآن .. ولكن القوم حاولوا بينه وبين رغبته خشية بطش أقارب عبد الله بن مسعود الذين لن يرضوا باذلال ولا قتل ابن لهم *

ولكن أبا جهل لم يقنع وبدأ يتحين الفرص ليكيد لابن مسعود . . وجاءته الفرصة . . إذ رأى على بعد من الكعبة جمعا من الناس فذهب يتعرف الأمر وإذا الجمع من حول ابن مسعود يستمعون إليه يتلو قوله تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا . . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » . فيصرخ أبو جهل في القوم فيهربون ويبقى هو وجها لوجه مع عبد الله بن مسعود فيضربه بالقوس على رأسه فينبش منه الدم غزيرا . . ولكن عبد الله لا يهرب . . ولا يضعف . . وإنما يصفع أبو جهل على وجهه في عنف وقوة . . ثم يقذفه في صدره . . حتى يصيح « لن تفلت بها يا راعي الغنم . . » فيقول له ابن مسعود « ولن تفلت بما فعلت يا عدو الله » . ويذهب أبو جهل الى قومه يحدثهم بما أصابه . .

ويهدر دم ابن مسعود ويعرف رسول الله بالامر فيأمر عبد الله بالهجرة الى الحبشة مع المهاجرين ويعود من هناك الى المدينة حيث يعيش مع النبي لا يفارقه . . ويأخذ عنه . . ويتعلم منه وليقول رضى الله عنه « والله ما نزل القرآن شيء الا أنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله مني ولو أعلم أحدا تمتطى اليه الا بل أعلم مني بكتاب الله لا نيتته . . وما أنا بخبركم » . و . . « أخذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لا تنازعني فيها أحد » .

ويحضر المواقع كلها مع رسول الله .. وفي غزوة بدر كان أبو جهل في جانب المشركين وكانت فرصة تصفية الحساب بينه وبين ابن مسعود ..

وأذن الله وصرع أبو جهل .. وعلى يد عبد الله ابن مسعود ونفر من المسلمين .. وفيل ان يلفظ أبو جهل أنفاسه قال له ابن مسعود « ها قد أخزأك الله يا عدو الله » .

فقال « ها انت ذا يا راعي الغنم لقد ارتفعت مرقى صعبا » .
فرد عليه ابن مسعود « لقد أخزأك الله بما قدمت للمسلمين من شر فذق عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد باسا وأعظم نكيلا » .

ويضربه الضربة الأخيرة .. ويرفع صوته بنكيرة الله ..
ويتنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن ابن مسعود .. وكلمات كثيرة منسيئة قالها عليه السلام عن هذا الصحابي العظيم .. ومنها :

« تمسكوا بعهد ابن أم عبد » .

و .. « من أحب ان يسمع القرآن غشيا كما أنزل فليسمع من ابن أم عبد » .

و .. « لو كنت مؤمرا احدا دون شوري المسلمين لامرت ابن أم عبد » .

و .. يقف ابن مسعود مع المؤمنين الأول يدودون عن دين الله في حروب الردة .. وحروب الدعوة .. من بعدها .. وفي العهد الأول من أيام عمر كان مع المرابطين في حمص ينتظر تعليمات امير المؤمنين عمر ابن الخطاب في الزحف والجهاد - ولكن امرا ياتي به بالعودة الى المدينة من الخليفة الثاني ليوليه بيت مال الكوفة وتعليم أهلها شؤون دينهم في وقت كانت الدعوة الاسلامية في حاجة الى تثبيت قلوب أهل الكوفة بالدات على الاسلام حتى ينطلقوا في منارب

الأرض ومشارقتها دعاة إليه .. وقال عمر في خطابه لأهل الكوفة عن
تعيين ابن مسعود على بيت المال ومعلمها لهم : « انى والله الذى
لا اله الا هو قد أثر تكلم به على نفسى فخذوا منه وتعلموا .. » .

وقام عبد الله بن مسعود فى الكوفة مدة خلافة عمر وفترة من
أيام عثمان .. يعلم الناس شئون دينهم .. ويعلم الحكام كيفية
التصرف فى مال المسلمين .. والحفاظ عليه .. وكان يعلم قراءة
القرآن ويقرؤه طوال أيام الأسبوع .. وعتية واحدة كان يتخذها
للموعظة .. هى عشية الخميس .. حتى حفظ عنه المسلمين
الكثير .. وحفظ لنا التاريخ بعضها ومنها ..

« انى لامقت الرجل اذا اراه فارغا ليس فى شىء من عمل الدنيا
ولا عمل الآخرة » .

و .. « خير الغنى غنى النفس .. وخير الزاد التقوى وشر
العمى عمى القلب . وأعظم الخطايا الكذب . وشر المكاسب الربا .
وسر المآكل مال اليتيم ومن يعف الله عنه ومن يغفر غفصر
الله له » .

و .. يعلمهم سيرة الصحب الأول لرسول الله .. وتعاليم
رسول الله فى خشوع رهيب يهتز له كل جسده .. وتنساب دموعه
ذكرى لنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم .

وفى أول عهد عثمان .. وفى على الكوفة الوليد بن عقبة مع بقاء
ابن مسعود على بيت المال وتعليم الناس شئون دينهم .. وبدأ
بين الاثنين خلاف على أساليب الحكم .. وطبيعة مال المسلمين
وكيفية انفاقه .

كان عبد الله بن مسعود يرى أن المال ليس للأمرء ولا لمظاهرهم
التي يحاول الأمويون ابرازها فى المجتمع الاسلامى .. وانما لعامة
المسلمين ومصالح الجماعة الاسلامية وبدأ ابن مسعود يعبر عن هذا

الراى الاسلامى فى حديثه عشية كل خميس مع جماهير المسلمين
وكان يرفع دائما مقدمة ثابتة لاحاديثه « ان اصدق القول كتاب
الله . واحسن الهدى هدى محمد . وشر الامور محدثاتها . وكل
محدثه بدعة . . وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

وينتهى الخلاف بعودة بن مسعود الى المدينة المنورة . لتقع
يوما بينه وبين عثمان مشادة عنيفة تنهى برد بن مسعود عليه
« لست كما تقول ولكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ويوم احد ويوم الخندق ويوم بيعة الرضوان » . . فتنادى
عائشة أم المؤمنين من وراء الستر فى المسجد قائلة « ويحك يا عثمان
انقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويخرج بن مسعود من مسجد رسول الله غاضبا ليقضى فى بيته
عامين لا يبرحه يعانى من آلام وامراض . . حتى ينتقل فى عام ٣٢ هـ
الى عالم الخلود وقد بلغ من العمر عامه الثانى والستين ليلقى الأجرة
محمدا وصحبه مشيعا من المسلمين فى مدينة الرسول وفى مقدمتهم
صحابته صلى الله عليه وسلم الذين اشتركوا فى الصلاة عليه .

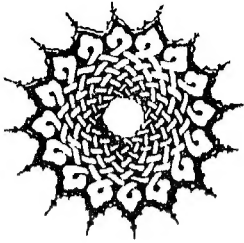
الفهرس

- مقسمة ٣ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- ابو ذر الغفارى ٧ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- بلال بن رباح ١٤ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- سلمان الفارسى ٢١ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- عمار بن ياسر ٢٦ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- الامام الحسن ٤٢ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- الامام الحسين ٤١ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- ابو بكر الصديق ٥٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- عمر بن الخطاب ٥٨ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- حمزة بن عبد المطلب ٦٥ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠
- عبد الله بن مسعود ٧٢ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠

رقم الإيداع بشارة الكتب ١٩٧٥/٧٢١

الشعب

مركز مصادر المعلومات
٣٩٩٥٥



□□ مختارات من مطبوعات الشعب

- مستقبل المسلمين
- د. فؤاد محمد فخر الدين
- الموعظة الحسنة
- يحيى ابراهيم خطاب
- الاسلام والايمان
- د. عبد الحليم محمود
- اشتراكية الاسلام
- د. مصطفى السباعي
- الدين والدولة العصرية
- محمود الشراقى
- صنع الله
- عبد الرزاق نوفل
- التربية في الاسلام
- د. أحمد ابراهيم مهنا
- التراث العربى الاسلامى
- د. حسين سليمان
- رسالة التوحيد
- الامام محمد عبده
- ثقافتنا الدينية
- د. محمد عبد المنعم القيعى
- المرأة والشرائع السماوية
- د. مديحة خميس
- فلاسفة الاسلام
- سعد عبد العزيز
- رجال من مكة
- عبد المنعم الجداوى
- شخصيات اسلامية
- صلاح عزام
- من انباء الرسل
- عبد السلام بدوى
- في ظلال السيرة
- محمد لبيب البوهى

رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

□ الغلاف للفنان : محمد صلاح الدين
□ الاعداد الغنى : انور عبد النعيم

التمن ١٢٥ قرشا

7.648

عرا
ع

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م